(١٣) الشباب ووباء المسكرات

الخطبة الأولى

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

لازلنا نتحدث عن الشباب فتياناً وفتيات، لازلنا نتحدث عن هذه الثروة البشريّة، التى هى أعظم ما تملك الأمّة، إنّها ثروة المستقبل، إنّها أغلى من النفط، وأغلى من الذهب، وأغلى من الجواهر، وأغلى ممّا تحت الأرض وممّا عليها.

لازلنا نتحدث عن الشباب، عن مرحلة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة. لازلنا نتحدث عن الشباب لنحمى هؤلاء الشباب من الآفات والأوبئة، لنقيهم من الكوارث والمصائب، لنجنّبهم المزالق والعثرات، لنحاول توجيههم التوجيه الإسلامى الصادق، لنجعلهم عدّة الأمّة وذخيرة غدها.

لا بدّ أن نتحدث عن الشباب بصدق وإخلاص، لا ننافق ولا نمالىء ولا نرائى، ولا نحاول أن ندفن رؤوسنا فى الرمال ونردم على الأشياء ونتستّر عليها، فهذا لا يداوى داءً، ولا يحلّ عقدة، ولا يعالج مشكلة من المشكلات.

أتحدث اليوم عن آفة من الآفات، بل عن وباء من الأوبئة، أصبح اليوم تُعقد له الحلقات والنّدوات لدراسة عواقبه ومغبّته.

أصبح الكل يتحدث عن هذا الوباء، وهذا البلاء هو: وباء المسكرات والمخدّرات. إنّه وباء لا يجوز لنا أن نسكت عنه، صحيح أنّ (قطر) لاتزال أفضل من غيرها، ولا تزال أحرص على التدين والالتزام من كثير من البلدان بجوارها، ولكن العدوى سرعان ما تنتقل، والشرّ أسرع انتقالا، واقرب اشتعالا.

العدوى فى الشرور والآثام سريعة، تنتشر انتشار النأر فى الهشيم، وهناك

الذين يكيدون لهذه المجتمعات المسلمة، ويدبّرون لها المؤامرات، ويريدون أن يقضوا عليها بأيدى أهلها.

إنّها حرب غير معلنة، تدبرها قوى خفيّة، قوى تضمر العداء لهذه الأمّة، تريد أن تأتى على بنيانها من القواعد وأن تجتثّها من الجذور.

إنّها حرب غير ملعنة، حرب صامتة، وهذا النوع من الحروب أشدّ خطراً، وأعمق أثراً، من الحروب الظاهرة التى تستخدم فيها القنابل والمدافع والصواريخ، فإنّ هذا النوع من الحرب العلنيّة يستثير غرائز المقاومة، فينفر الناس للدفاع عن أنفسهم، وللحفاظ على الذات، يستميتون فى المقاتلة دفاعاً عن الأرض والعرض والذات.

أمّا هذه الحروب الصامتة. . الحروب الخفيّة، فإنّ أعداءنا يعطوننا السلاح لنقتل أنفسنا بأيدينا، يستخدمون أناساً منّا ليروّجوا فينا هذه السموم (المسكرات والمخدات)، ليقتلوا شبابنا، ليدبّروا اقتصادنا، ليدمّروا أخلاقنا، ليدمّروا تماسكنا، ليدمّروا كلّ شيىءعظيم فينا.

إنّها الحرب الخفية الخطرة، فعلينا أن نتنبّه لها، وأن نقف لننذر ونحذّر، ونوجّه ونعلّم، ونصرخ صرخه الحراس الأيقاظ إذا داهمهم خطر على ما يحرسون. علينا أن نقف جميعاً لنصدّ هذا التيار الخطر، لنحمى أبناءنا، لنحمى فلذات أكبادنا، لنحمى، الشبان والشابآت، الذين وقعوا فى هذه الأخطار، سقطوا فرائس سهلة لأولئك الذين يتاجرون فى هذه السموم، ويريدون أن يشروا من السحت، وأن يكسبوا الملايين بسرعة، من وراء صحّة النآس وأخلاق النآس وقيم الناس.

هؤلاء الذين لا يخافون خالقاً ولا يرحمون مخلوقاً. . أولئك المهربون والمتاجرون بالسموم، علينا أن نقف لنحاربهم، لنحارب هذا الوباء الذى يتسلّل إلينا، ربما لا يراه الكثير منّا، ولكنّه معلوم ومعروف، وأصبحت ضحاياه كثيرة، وأصبحت المستشفيات تستقبل ضحايا الإدمان الخطر، وهم قليل جدا من كثير.

هناك مواد من تناولها مرّة أو مرّتين أصبح مُدمناً، وأصبحت صحته مهدّدة بالخطر، بل أصبحت حياته مهدّدة بالخطر.

كيف تنتقل هذه السموم إلى تلك البلاد الآمنة العربية المسلمة؟! كيف ينتقل الهروين والكوكايين والحشيش ومن قبل ذلك الخمور والمسكرات؟! ألسنا مجتمعاً مسلماً؟! ألسنا مجتمعاً يحرم هذه الأشياء ويعتبرها من أكبر الكبائر وأشدّ المنكرات؟!

لابدّ لصيحاتنا أن أن تدوّى، وأن تعلو أصواتنا بالاستنكار، وأن نحمى أبناءنا وأن نوعيّهم.

أبناؤنا يسقطون فرائس وضحايا لهؤلاء، لأنّ الرقابّة الأسرية قد غابت، الأب مشغول، والأم مشغولة. الآباء لا يسألون عن أبنائهم، ولا يعرفون: أين يذهبون، وأين يسهرون، ومن يصاحبون، وماذا يعملون؟

كلّ ما يصنعه الأب أنه يعطى المال والفلوس لأبنائه. ماذا يصنع بهذا المال؟ فيم ينفقه؟ هل سألته أيها الأب الراعى؟ هل حاسبته؟ هل جلست إليه؟ لماذا تنتشر هذه المصائب؟ لماذا؟ إنّه الفراغ، إنّ الشاب يشعر بفراغ فى وقته، وأكثر من ذلك بفراغ فى نفسه. إنّه لا يتعلّق بمثل عليا، لا يعيش لأهداف كبيرة، كان يعيش لها من قبل أسامة بن زيد، أو علىّ بن أبى طالب، أو معاذ بن جبل، أو عبد الله بن عباس، أو محمد بن إدريس الشافعى . إنّه يقلّد الممثلين، ويقلّد الأجانب.

أنّه لم يجد القدوة الحسنة ولا الأسوة الطيّبة، لم يجدها فى بيته، لم يجدها فى أسرته، لم يجدها فى مدرسته، لم يجدها فيمن حوله. لم يجد التربية الصالحة التى تتعاون فيها الأجهزة المختلفة ، لتخلق منه إنساناً سويّا.

لهذا يذهب الشاب حيث يذهب، وقد غابت الرقابة الاجتماعية، كما غابت الرقابة الأسرية. غابت أعين الرقباء، ولا يدرى المسؤولون عنه الذين

سيسألهم الله يوم القيامة عمّن استرعاهم: ماذا فعلوا لرعاياهم؟ «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته. . »[1].

ماذا يصنع هؤلاء الشباب فى غيبة أعين الرقباء؟

أقرب الناس إليهم: الآباء. الأب مهمّته أن يربح ويكسب ويكوّن ثروة، ولكنّه يضيّع أعظم ثروة عنده وهى: أبناؤه. ما قيمة ما تكسب من ملايين إذا خسرت ولدك. . إذا خسرت ابنك. . إذا خسرت ابنتك. . إذا خسرت فلذة كبدك؟ ماذا تصنع الملايين؟

نحن فى حاجة إلى أن نراجع أنفسنا. . إلى أن نعرف لماذا تنتشر هذه السموم؟! لماذا تنتشر المسكرات؟! ولماذا تنتشر المخدّرات؟! لماذا؟ أهو الفراغ؟ أهو الضياع؟ أهى انعدام التربية الدينيّة الإسلاميّة الصحيحة؟ لماذانُعين على أنفسنا؟

مهما قلنا أنّ هناك حرباً، وأنّ هناك مؤامرات تُدبّر لتدمير هذه المنطقة وتضييع أموالها وشبابها، فنحن الذين نُعين على أنفسنا.

نقول: إنهم يخططون لنا. فهل هذا عذرُ لنا؟ لماذا لا نخطّط لأنفسنا لنبنيها ونحميها، كما يخطط أعداؤنا لهدمنا وتمزيقنا؟

لابدّ أن نعى وأن نوعىّ.

إنّ الإسلام جاء إلى العرب وقد كانوا مولعين بالخمر، يشربونها، ويسهرون لشربها، ويجلسون لها الساعات. سمّوها أكثر من مائة اسم، فهى: الخمر، وهى الراح، وهى الصهباء، وهى السلافة، وهى المدام، وهى بنت العنقود، وبنت الدنان، وهى. . وهى. . وصفوا مجالسها، ووصفوا ندماءها، ووصفوا أقداحها، وقالوا فيها من الشعر ما قالوا.

ولهذا أخذهم الإسلام بمنهج تربوى حكيم، فلم يفطمهم عنها مرّة واحدة،

---

(١) قطعة من الحديث الذى رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى، عن ابن عمر رضى الله عنهما (فيض القدير للمناوى: ٥/ ٣٨ برقم ٦٣٧٠).

وإنّما جاء وبيّن لهم أنّ اثم الخمرأكبر من نفعها. إذا كان فيها منافع اقتصاديّة، أو تجاريّة، أو نحو ذلك، فإنّ أضرارها أكبر من نفعها.

وهنا لابدّ أن نبيّن لأبنائنا وللأجيال الجديدة أضرار الخمر، وأنّها ليست فيها أىّ منفعة إلاّ المنافع التجارية، والعلم الحديث والطب الحديث قد أثبتا هذا.

إنها خطر على الصحة، إنّها تسارع بالإنسان إلى الموت. إن جمعيّات (منع المسكرات فى العالم) تعمل بجد، وتظهر من الصور والأفلام ما يبيّن خطر الخمر.

الخمر خطر على الصحة. . على الكبد. . على القلب. . على الأعصاب. . على الأعضاء.

إنهّا خطر على العقل، إنّها تسلب الإنسان أهمّ مزيّة فيه، وهى (العقل).

كرّم الله الإنسان بالعقل، وخاطب فيه العقل، وأثابه وعاقبه بسبب العقل، فيأتى الإنسان ويغيّب عقله بإرادته. . باختياره. . بل بحرّ ماله! يشترى الجنون بماله!!

ذكر ابن أبى الدنيا أنّه مرّ على رجل سكران وهو يتبوّل، ويأخذ من بوله على وجهه، كهيئة المتوضّىء، ويقول: الحمد لله الذى جعل الماء طهورا!!

انظروا كيف يفقد الإنسان عقله.

الخمر خطر على العقل، كما هى خطر على الجسم، كما هى خطر على الأخلاق، فالإنسان السّكّير لا أخلاق له، إنسان ضائع تائه، لا يعرف واجبه نحو ربه، ولا نحو نفسه، ولا نحو غيره.

وهى خطر على الأسرة، لأنّ هذا الأنسان الذى أدمن الخمر يضيّع أولاده، لا يفكّر فى شىء آخر إلاّ فى شهوته. ولذته، وان انحرفت زوجته أو ضاع أولاده.

إنهّا خطر على المجتمع كلّه فى النّهاية، خطر على الاقتصاد. . على الإنتاج، لأنّ مثل هذا السّكّير والمدمن لا يصلح للإنتاج، ولا يحسن أن يتقن عملا، أو يحافظ على مال، أو ينميه بكفاءة إذا أئتمن عليه.

ومثله المدمن للمخدرات أيضا، بل لعلّها أشدّ خطراً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية (١).

إنّ المخدرات - الحشيشة وغيرها - أشدّ خطراً من الخمر، لأنّ الخمر قد تدفع إلى الحركة، وهذه تدفع إلى الخمول والفتور.

هذه السموم خطر على الإنتاج. . على التنمية. . على المجتمع.

في أمريكا ينفقون كلّ عام اثنين وستين بليون دولار (اثنين وستين ألف مليون دولار) على ضحايا الخمور والمخدرات. . لعلاج المدمنين. . لتعويض غيابهم عن العمل. وربما زادت هذه الأرقام اليوم، فالخطر يتفاقم ويزداد باستمرار.

ونحن - للأسف - نريد أن نقلّد هذه المجتمعات، هي تشكو من هذه الأوبئة - وهي مجتمعات غنيّة وقويّة ومتقدمهة - ونحن ننقل شر ما فيها، ونأخذ أسوأ ما عندهم، ولا نأخذ أحسن ما عندهم.

الخمور والمخدّرات خطرة على الإنسان مادياً ومعنوياً، وهي خطرة على الإيمان نفسه، تهدّد إيمان الانسان، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» (٢)، لا يمكن أن يكون مؤمناً من يدخل

(١) وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية في السياسة الشرعية: والحشيشة المصنوعة من ورق العنب حرام أيضا، يجلد صاحبها كما يجلد شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر من جهة أنّها تفسد العقل والمزاج، حتى يصير في الرجل تخنّث ودياثة وغير ذلك من الفساد. والخمر أخبث من جهة أنّها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة، وكلاهما يصدّ عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة. وقد توقف بعض الفقهاء المتأخرين في حدّها، ورأى أن أكلها يعزر بما دون الحد، حيث ظنّها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج، ولم نجد للعلماء المتقدمين فيها كلاما، وليس كذلك، بل آكلوها ينشون عنها، ويشترونها كشرآب الخمر وأكثر، وتصدّهم عن ذكر الله وعن الصلاة، إذا أكثروا منها، مع ما فيها من المفاسد الأخرى من الدياثة والتخنّث، وفساد المزاج والعقل وغير ذلك (مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: ٢٨ / ٣٣٩ - ٣٤٠).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الشيخ القرضاوي معلّقاً على الحديث: نفي الإيمان هنا يعني نفي الكمال لا نفي الأصل، وذلك لتتفق النصوص بعضها مع بعض، ولتتفق مع الواقع أيضا، فالإيمان لا يزول بالكلية بمجرد الوقوع في المعصية، واللغة تتسع لهذا التأويل بغير تكلف. انظر كتابه: (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٦٥١ برقم ١٣٩٩).

إلى جوفه تلك السموم، والله قد نهى عنها، وجعلها رجساً من عمل الشيطان، والنبى ﷺ قال: «اجتنبوا الخمر، فإنها مفتاح كلّ شر» (١)، إنّها تجرّ إلى ما بعدها، وتجرّىء الإنسان على المعاصى واقتراف الكبائر، وخصوصاً من أدمنها ومن واظب عليها، تصبح آفة من الآفات الكبرى.

روى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «من لقى الله مدمن خمر لقيه كعابد وثن» (٢)، ذلك لأنّ الخمر أصبحت وثناً بالنسبة له يعبدها. وقال أبو موسى رضى الله عنه: ما أبالى أشربت الخمر أو عبدت هذه السارية من دون الله! السارية: عمود فى المسجد، اعتبر شرب الخمر نوعاً من الشرك، فالذى يعبد هذه الشهوة إنّما يعبد وثناً من دون الله عزّ وجلّ.

الخمر ضارّه كلّ الضرر لا منفعة فيها. وأشدّ منها ضرراً: المخدرات، لا يشكّ فى ذلك أحد.

ومن هنا قاوم الإسلام هذه المضار وهذه الخبائث كلّ المقاومة، وحرّمها أشدّ التحريم.

تدرّج فى تحريمها من قوله: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾ [البقرة: ٢١٩]، إلى قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** ﴾ [النّساء: ٤٣]، إلى الآية الحاسمة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]؟

---

(١) رواه الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٥٣ – ٦٥٤ برقم ١٤٠٨).

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما، ورواه أحمد بلفظ: «مدمن الخمر إن مات لقى الله كعابد وثن» قال المنذرى: ورجاله رجال الصحيح، وصحّحه الألبانى. بمجموع طرقه فى سلسلة الصحيحة (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٥٣ برقم ١٤٠٥).

ولمّا نزلت هذه الآية قال الصحابة: قد انتهينا يارب. . قد انتهينا يارب. وبعضهم بلغته هذه الآية والكأس في يده، شرب بعضاً وبقى بعض، فلّما علم بالتحريم أفرغها على التراب، وقال: قد انتهيت. لم يكملها، ولم يقل ما قال امرؤ القيس قديما:

اليوم خمر وغداً أمر، فلنكمّل الشراب، وليكن فى غد ما يكون.

لا، قد انتهى الأمر، قد حرمت الخمر.

نجح الإيمان، وفشلت أمريكا فى محاربة الخمر – بعد أن أقامت من التشريعات والقوانين ما يحرّمها وجندت الجيش والأسطول والشرطة لمقاومة تهريب الخمر، وصنعها فى الخفاء، وترويجها فى السر، وأنفقت فى ذلك الملايين، وجندت كل الدعايات. ومع هذا لم تستطع التغلب على المهربين، فأباحتها مجبرة.

نحن عندنا الدين الذى حرّم الخمر تحريماً قاطعاً، وأصبح تحريمها من المعلوم من الدين بالضرورة، وجعل الإسلام فيها حدّاً: عقوبة بدنيّة لمن شربها، يجلد حتى يرتدع ويكون عبرة لغيره.

هكذا فعل الإسلام.

بل حرّم النبى ﷺ كلّ مساهمة فى الخمر من قريب أو بعيد، ولعن فيها عشرة: « . . عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشترى لها، والمُشترى له »(١). كلّ من ساهم فيها من قريب أو من بعيد، فهو ملعون على لسان محمد ﷺ.

يريد أن يسدّ الباب بالكلّيّة، ولهذا حينما حرّم شربها حرّم أن يُجلس مع

---

(١) من حديث أنس رضى الله عنه، وأوّله: «لعن رسول الله ﷺ فى الخمر عشرة». رواه ابن ماجة والترمذى واللفظ له، وقال: غريب من حديث أنس. قال الشيخ القرضاوى: وقد روى نحو هذا عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر عن النبى ﷺ، فالحديث صحيح بشواهده (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٥٢ برقم ١٤٠١).

من يشربها[١]، وفى الحديث « ... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُدار عليها الخمر»[٢].

يجب أن يبتعد عن هؤلاء.

عمر بن عبد العزيز خامس الراشدين، حينما جيىء له بجماعة شربوا الخمر، وكان معهم واحد لم يشاركهم فى الشرب، حتى قيل له أنّه كان صائماً! فقال: صائم ويجلس من شرّاب الخمر، به فابدأوا إنّ الله تعالى يقول: ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ** ﴾ [النساء: ١٤٠]، وإذا جلستم معهم وهم يخوضون فى آيات الله فأنتم إذا مثلهم، فمن جلس مع شرّاب الخمر فهو مثلهم، ومن قعد على مائدة يُدار عليها الخمر فهو شريك فى الإثم.

الإسلام إذا حرّم شيئاً حرّم كل ما يساعد عليه وكلّ ما يؤدّى إليه، إلاّ أن يكون الإنسان مضطراً غير مختار، كما نفعل نحن: نركب الطائرات ويكون بجوارنا من يشرب الخمر، ولا نستطيع أن نغادر مكاننا.

حتى طائرات البلاد العربية وطائرات الخليج - التى تنتسب إلى هذا الخليج العربى المسلم - تقدّم الخمر، وأرى الناس بجوارى يشربونها وفى رمضان! ونحن معلّقون بين السماء والأرض! ويقولون: طوق النجاة أمامك! أى طوق للنجاة ياقوم؟! وإذا وقعت الطائرة فهل يغنى طوق النجاة من شيء؟! هؤلاء لا يستحون ويشربون الخمر فى الطائرة وفى رمضان والمضيفون والمضيفات يعلمون الناس كيف يستخدمون أطواق النجاة إذا واجهوا خطر الموت!

وكم من أناس يشربون الخمر فى رمضان، وكم من زوجات يشتكين من

---

(١) لأنّه - كما قال المناوى - تقرير على المنكر (فيض القدير: ٦ / ٢١١).

(٢) قال ابن حجر: (أخرجه النسائى من حديث جابر مرفوعاً إسناده جيّد، وأخرجه الترمذى من وجه آخر بسند فيه ضعف، وأبو داود عن ابن عمر بسند فيه انقطاع، وأحمد عن ابن عمر). وأخرجه أيضاً الحاكم عن جابر وقال: على شرط مسلم، وأقرّه الذهبى. انظر (فيض القدير للمناوى: ٦ / ٢١١ - ٢١٢ برقم ٨٩٨٤).

أزواجهنّ ويقلن: يطلب زوجى منىّ أن أقدّم له الخمر أو لضيوفه فى الشهر الكريم، فهل يجب علىّ هذا؟ هل يجوز لى أن أمتنع وأعصيه؟

مصيبة أىّ مصيبة انتشرت فى مجتمعاتنا.

كم من فتاة سألتنى: تقدّم لىِ أكثر من خاطب، وحينما أسأل عنهم، أجدهم مّمن يشربون الخمر، فماذا أصنع؟ أأبقى عانساً أم أقبل هذا النّوع من النّاس؟

الوباء ينتشر ولابّد له من مقاومة، لابّد أن نوعّى أجيالنا بما صنعه الإسلام.

الإسلام قاوم هذه الآفات، وحرّمها أشدّ التحريم. حرّم شربها، وحرّم الاتجار بها، وحرّم صناعتها، وحرّم عصرها، يعنى: بيع العنب ليعصر، فالخمر لا تُعصر، إنّما العنب هو الذى يُعصر، هذا تعبير مجازى. وقد روى فى حديث: عن الطبرانى فى الأوسط: «من حبس العنب أيام القطاف ليبيعه ممّن يتخذه خمرا، فقد تقحّم النّار على بصيرة» (١)

فما بالك بمن يبيع الخمر نفسه؟! ما بالك بمن يبيع المخدّرات؟! وما بالك بمن يتناولها؟!

إنّنا فى حاجة إلى أن نحمى مجتمعنا من هذه الآفات، وأن نقاوم أولئك الذين يريدون أن يكتسبوا ويربحوا من وراء الضحايا المساكين.

يجب أن يقف المجتمع كلّه ضدّ هذا الوباء.

إنّ الإسلام يريد المسلم القوى. . المنتج. . المعطاء، الذى يساهم في الرقى بمجتمعه. يريده عضواً فعالاً حيّاً قويّاً فى جسم المجتمع، لا يريد عضواً أشلّ، لايريده أن يكون عالة وعبئاً على المجتمع، لا يريده أن يكون بلاء على المجتمع. ولهذا ينبغى أن نعمل على حماية هذا الجيل، وحماية ثروتنا البشريّة.

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط، وحسنه الحافظ ابن حجر فى (بلوغ المرام) وضعفه الألبانى فى كتابه (غاية المرام فى تخريج أحاديث الحلال والحرام).

ولكن حسبنا أن الحديث الآخر الذى صححه الأئمة لعن عاصر الخمر ومعتصرها فدل على حرمة هذا الأمر. (القرضاوى) وربما كان حديث الطبرانى من كلام بعض الصحابة أو التابعين.

الإسـلام يريد أن يربى المؤمن القـوى، يريد أن يربى الإنسـان الذى يعطى مجتمعه أكثر مّما يأخذ منه، وينتج للحياة أكثر مّما يستهلك منها. ولا يكون ذلك إذا كان ضحيّة لهذه الأوبئة ولهذه السموم التى تفد علينا من هنا وهناك.

إنّ هذا الترويج لهذه السموم من أكبر ما حرّم الله عزّ وجلّ.

يجب أن نعلم ونعلّم أبناءنا، ونعلّم شبابنا، أنّ الإسلام قد حمى الإنسان. حينما حرّم هذه الأشياء لم يحرّمها إلاّ لحمايتنا. لمصلحتنا، لأنّه لا يحلّ إلاّ الطيبات ولا يحرّم إلاّ الخبائث. فإذا حرّم علينا شيئاً فليس ذلك تضييقاً علينا، ولا انتقاماً منّا، إنّما هو لمصلحتنا أفراداً ومجتمعات.

هذا ما جاء به الإسلام.

ولذلك رأينا النبى ﷺ حذّر من المسكرات كل المسكرات، حذّر من القليل ومن الكثير، وقال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»(١)، «ما أسكر منه الفَرَقُ [الفرق مكيال كبير] فملء الكفّ منه حرام»(٢)، لأنّ القليل يجرّ إلي الكثير، والألف تجر إلى الباء كما يقولون، ومعظم النّار من مستصغر الشرر.

حرّم النبى ﷺ الكثير والقليل، وحرّم المسكرات أيّاً كانت المادة المصنوعة منها. جاء رجل من اليمن فسأل النبى ﷺ عن شراب يصنعونه باليمن من الذرة اسمه (المِزْرُ)، فقال النبى ﷺ: «أو مسكرُهو»؟ قال: نعم، فقال ﷺ: «كلّ مسكر حرام، وإنّ عند الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال»،

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان، كلّهم عن جابر رضى الله عنه، وقال الترمذى: حسن غريب، وصححه ابن حبان، وقال الحافظ ابن حجر: ورواته ثقات. ورواه أيضا أحمد والنّسائى وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، قال ابن حجر: سنده ضعيف، وقال الذهبى فى المهذب: والحديث فى جزء ابن عرفة بإسناد صالح (فيض القدير للمناوى: ٥/ ٤٢٠ بقرم ٧٨١٥).

(٢) رواه أحمد عن عائشة رضى الله عنها، ورواه أيضا أبو داود والترمذى وابن ماجة، وأعلّه الدارقطنى بالوقف (فيض القدير للمناوى: ٥/ ٤٢٠ - ٤٢١ برقم ٧٨١٦).

قالوا: يارسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النّار، أو عُصارة أهل النّار»[١]. يسقيهم الله من هذه الطينة وهذه العصارة أو (الردغة) إهانة لهم وتحقيرا.

وجاء عنه ﷺ: «من شرب الخمر لم تقبل له صلاةُ أربعين صباحا. .»[٢] أى أنّ صلاته مرفوضة. وجاء فى الحديث: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه، والمرأة السّاخط عليها زوجها حتى يرضى، والسّكران حتى يصحو»[٣]. وفى حديث آخر: «ثلاثة لا تقربهم الملائكة: الجنب، والسّكران، والمتضمّخُ بالخَلُوق»[٤]، لا تقربهم الملائكة ولا ترفع لهم صلاة.

ومن هنا كان على المسلم - الذى يريد أن يكون بينه وبين الله وُصلة، ولا

---

(١) رواه مسلم والنّسائى، عن جابر رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٥٤ برقم ١٤١١).

(٢) رواه الترمذى وحسّنه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، عن ابن عمر رضى الله عنهما، ورواه أيضا ابن ماجة مع اختلاف يسير فى الألفاظ. وتتمّته: «فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم تقبل له صلاةٌ أربعين صباحا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد فى الرابعة لم تقبل له صلاةٌ أربعين صباحا، فإن تاب لم يتب الله عليه وغضب الله عليه، وسقاه من نهر الخبال» قيل: يا أبا عبدالرحمن، وما نهر الخبال؟ قال: نهر يجرى من صديد أهل النار (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٥٦ برقم ١٤١٦).

(٣) رواه ابن خزيمة فى صحيحه، وابن حبان، والبيهقى، من حديث هشام عن عمار عن الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن ابن المنكدر عن جابر رضى الله عنه، قال البيهقى فى السنن: تفرّد به زهير، قال الذهبى فى المهذب: قلت هذا من مناكير زهير (فيض القدير للمناوى: ٣/٣٢٩ برقم ٣٥٣٧).

(٤) قال المنذرى: رواه البزار بإسناد صحيح، وقال الهيثمى: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا العباس بن أبى طالب وهو ثقة. قال الشيخ القرضاوى: و(الخلوق) طيب مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وإنّما نهى عنه الرجال، لأنّه من طيب النساء ووردت إباحته ولعلها منسوخة (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٦٥٥ برقم ١٤١١).

يريد أن ينقطع من الله، الذى يريد أن تُقبل حسناته وتغفر سيّئاته، وأن يتوب إلى الله من هذا البلاء - أن يعرف كيد شياطين الجنّ وشياطين الإنس له، أن يحمى نفسه من بلاء الدنيا ومن بلاء الآخرة، فإنه معرّض للبلاء فى الدنيا: معرض للمرض ومعرض للجنون ومعرّض لتلف الكبد، وتلف الأجهزة، وتلف الأعصاب، ومعرض للإصابات النفسيّة والعقلية، ومعرّض - قبل ذلك كله - لغضب الله وعذابه فى الآخرة.

لو كتب كاتب أو أحصى محص ما تجرّه الخمور والمسكرات والمخدرات على الناس من بلاء، مثل الحوادث التى نراها والجرائم التى نشهدها، حوادث المرور وحوادث الشجار بين الناس، لكانت الأرقام مذهلة حقا.

لقد انتقل إلينا هذا البلاء وهذا الوباء من مجتمعات أخرى، كانت مجتمعاتنا مصونة، وكانت بعيدة عن هذه المصائب، ولكن انتقلت إلينا العدوى.

فعلينا أن ننتبه أيّها الإخوة المسلمون، وأن نرجع إلى أمر الله وأمر رسوله. علينا أن نرجع إلى ديننا ففيه العصمة، فيه العلاج، وفيه الوقاية معاً.

علينا أن نرجع إلى كتاب ربنا وسنّة نبيّنا، وهناك نجد الخير كلّ الخير ﴿ ... وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١].

أقول قولى هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ادعو الله يستجب لكم.

* * *

(١٤) العفّة والإحصان

الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا مع الشباب، لا زلنا مع فتيان هذه الأمّة وفتياتها. الشباب هم أغلى الثروات التى تمتلكها أمة من الأمم، إنها ثروة لا تُقدر بالدولار ولا بالجنيه ولا بالدينار ولا بالريال، إنها أعْلى وأثمن وأنفس وأغلى من ذلك كلّه، إنّها الأمّة، إنّها المستقبل.

ولهذا كان علينا أن نطيل الحديث عن شباب هذه الأمّة، علينا أن نعمل على حمايتهم من الانهيار من الانسياق وراء التيّارات الغازية، التى تريد أن تضلّلهم عن هويّتهم، والتى تريد أن تمحقهم محقا، ولا تبقى فيهم شيئا ينفع هذه الأمّة أو يصلحها وينهض بها.

الشباب هم عُدّة الأمّة وذخيرة غدها، ولهذا كان علينا أن نربيهم بالإيمان، وأن نربيهم على الفضائل ومكارم الأخلاق، وأن نحميهم من الرذائل، ونحميهم من التيارات الغازية التى تحمل أفكاراً مستوردة لا تمتّ إلى هذه الأمّة بسبب، ولا تتصل بها بنسب.

هناك ما يسمّونه (المشكلة الجنسيّة) !العلاقة الحسّيّة بين الرجل والمرأة، وبين الشاب والشابة، سمّوها مشكلة! وما كانت يوماً من الأيام مشكلة، لو أنّ الناس اتبعوا هدى الله، وساروا وراء منهج الله.

إنّ الإسلام لم يعتبر الدافع الجنسى فى نفس الفتى أو فى نفس الفتاة، فى نفس الرجل أو نفس المرأة، لم يعتبر ذلك من الشيطان، لم يعتبر ذلك شيئاً قذراً ينبغى أن يستخبثه الإنسان ويستهجنه، لا، إنّه دافع فطرى، ركّبه الله تعالى فى البشر لحكمة بالغة، لكى يدفع الإنسان ويسوقه سوقاً ليبحث عن شريكة حياته، وتبحث الفتاة عن شريك حياتها، لتقوم الأسر، ومن وراء الأسر تقوم الجماعات، ويستمر بقاء هذا النوع الذى استخلفه الله فى الأرض وطلب إليه عمارتها: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ [هود: ٦١].

ليس فى هذا الدافع الفطرى قذارة ولا نجاسة، لا، إنّه يكون قذارة ونجاسة حينما يتعدّى به حدود الله، حينما يُتجاوز به ما أراد به الشرع. أمّا حينما يوضع فى موضعه، فليس قذراً، ولا رجساً، ولا نجسا.

لا حرج على الإنسان أن يطلب تصريف هذه الطاقة أو يلبى نداء هذا الدافع الجنسي بما أمر الله عزّ وجلّ، وقد أحلّ الله النكاح وحرّم السّفاح، حرّم الزنى: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٣٢].

حرّم الشذوذ الجنسى، و(اللّواط) عمل قوم لوط، فهو عمل: قوم مجرمين(١)، وقوم مفسدين(٢)، وقوم جاهلين(٣)، وقوم عادين(٤)، كما سمّاهم القرآن الكريم.

حرّم هذا، ولكنّه طلب إلى الناس أن يتزوّجوا: « يامعشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج. . »(٥).

وعلى المجتمع أن يساعد من أراد الزواج: ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ** ﴾[النّور: ٣٢]. الأيامى جمع أيّم، والأيّم من لا زوج له من رجل أو امرأة. الرجل الذى لا زوجة له يسمّى (أيّما)، والمرأة التى لا زوج لها تسمّى (أيّما).

والمجتمع المسلم مطالب بمقتضى هذا الأمر الإلهى أن يزوّج الأيامى، أن

---

(١) قال تعالى: ﴿ **وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [الأعراف: ٨٤].

(٢) قال تعالى حكاية عن لوط عليه السلام: ﴿ **قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

(٣) قال تعالى حكاية عن لوط وهو يخاطب قومه: ﴿ **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ [النّمل: ٥٥].

(٤) قال تعالى حكاية عن لوط وهو يخاطب قومه: ﴿ **وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ** ﴾ [الشعراء: ١٦٦].

(٥) من حديث ابن مسعود الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى، والمراد بالباءة هنا: ما يلزمه من القدرة على مؤن الزواج ونفقاته (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٥٤٩ برقم ١٠٩٥).

يساعدهم على الزواج، أن لا يعوّق الزواج الحلال، أن لا يضع فى طريقه العقبات والعراقيل، أن ييّسر الحلال ويعوّق الحرام.

هذا هو منهج الإسلام.

فتح أبواب الحلال وأزال العقبات من طريقه: تيسير المهور، تيسير التكاليف، تيسير النفقات، اعتماد الدين والخلق مقياساً قبل كلّ شيىء: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض»(١).

هكذا يريد الإسلام.

يريد للناس أن يزوّجوا (أياماهم)، وأن يزيلوا العقبات من طريقهم، كما يريد لهم - من ناحية أخرى - أن يعوّقوا طريق الحرام، أن لا يكون طريق الحرام ميسورا.

ومن هنا حرّم الإسلام كل ما يؤدى إلى الفساد الجنسى:

حرّم النظرة غير البريئة، النظرة التى تغلغل فى محاسن الجنس الآخر، وقال عليه الصلاة والسلام لعلى: «ياعلى، لا تُتبع النظرة النظرة، فإنّما لك الأولى، وليست لك الآخرة» (٢). وقال الله تعالى فى شأن الرجال: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النور: ٣٠] وقال في شأن النّساء: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ** ﴾ [النور: ٣١] (٣) إلى آخر ما جاءت به الآية الكريمة.

---

(١) رواه الترمذى، وابن ماجة، والحاكم عن أبى هريرة. قال الحاكم: صحيح وردّه الذهبى. ورواه ابن عدى، عن ابن عمر. ورواه الترمذى والبيهقى فى السنن، عن أبى حاتم المزنى (فيض القدير: ١/ ٢٤٣ برقم ٣٤٧).

(٢) رواه أبو داود، والترمذى وقال: حديث حسن غريب، من حديث بُريدة رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٥٤٧ برقم ١٠٨٨).

(٣) وتتمتها ﴿ **أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾.

يريد الإسلام من المسلم أن يكون غاضّاً للبصر، حافظاً للفرج. يريد أن يحتفظ المسلم بحيائه وعفافه وإحصانه، وأن تحتفظ المسلمة بعفافها وحيائها وإحصانها، فالحياء شعبة من الإيمان.

يريد الإسلام من المسلم أن يتربى على تقوى الله عزّ وجلّ، حتى أنّ الفاحشة لتعرض له فيقول: إنّى أخاف الله ربّ العالمين، ليكون من السبعة الذين يظلّهم الله فى ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه. حينما تعرض له الفاحشة، حينما يتيسّر له الحرام وهو قادر عليه، يتراءى له ذلك الموقف حينما تدنو الشمس من الرؤوس، حينما يلجم الناس العرق ولا مظلّة ولا جدار ولا شجرة، لا شيء يقى الناس من حرّ الشمس إلاّ ظلّ الله. . ظلّ عرش الرحمن.

يتراءى له هذا، ويجد سبعة يظلّهم الله فى ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه، منهم: « . . رجل دعته امرأة ذاتُ منصب وجمال فقال إنّى أخاف الله ربّ العالمين. . »[1].

الإسلام يربى المسلم على هذا الخُلُق. . على هذا العفاف. . على هذه التقوى، حتى أنه ليرى الحرام أمامه فيعفّ عنه، لا لشيىء، إلاّ خشية الله وابتغاء رضوانه.

وكذلك المسلمة قد تجد أمامها الحرام ميسورا، ولكنّها تعفّ نفسها، وتحصن فرجها، كتلك الجارية التى راودها رجل عن نفسها، فامتنعت منه، فقال: ما الذى يمنعك ولا يرانا إلاّ الكواكب، فقالت له: ويحك، وأين مكوكبها؟!

---

(١) قطعة من حديث رواه مالك فى الموطأ والترمذى عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى. ورواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى عن أبى هريرة، ورواه مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد معا. ونصّه كاملا: « سبعة يظلّهم الله فى ظل يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلّق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحاباً فى الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه » (فيض القدير للمناوى: ٤ /٨٨ برقم ٤٦٤٥).

هذا ما يريده الإسلام.

يريد من المسلمين والمسلمات أن ينشأوا على خلق العفاف والإحصان.

أمّا ما تريده الجاهليّات الحديثة المستوردة من الغرب والشرق، فإنّها تريد أن تنتزع من الفتى والفتاة - من أبناء الإسلام وبناته - هذه الأفكار والمفاهيم، بمفاهيم خبيثة جديدة. وترى أنّ هذه الأفكار العتيقة القديمة من رواسب عصور التخلّف، ومن بقايا الانحطاط، وينبغي أن نتحرر منها، وأن نحلّ عقدة الكبت عند الفتيان والفتيات، وأن ينظر كلّ منهما إلى الآخر نظرة جديدة. ينبغي أن نذيب الحواجز بين الجنسين، ينبغي أن يكون هناك اختلاط حرّ بين الفتى والفتاة. . بين الشاب والشابة، في المدارس والجامعات والأندية والأسواق وغيرها، ينبغي أن تزول هذه الحواجز العتيقة التى تمثّل فى نظرهم أفكاراً بالية ومفاهيم قديمة عفّى عليها الزمن.

ولكن هذه المفاهيم إنّما جاءت من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله ﷺ، فهؤلاء الذين يريدون أن يذيبوا الحواجز يناقضون ما أمر الله به ورسوله.

إنّ الله ورسوله إنّما أرادا أن يقيما مجتمعاً مؤمناً عفيفاً مصونا، يتربّى فيه كلّ فرد على أن الزنا حرام، وعلى أنّ الفاحشة حرام، وعلى أنّ الحياء من الإيمان(١)، وعلى أنّ «الحياء لا يأتي إلاّ بخير»(٢)، وعلى أنّ غضّ البصر عبادة، وأنّ حفظ الفرج فريضة: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾ [المؤمنون: ٥-٦] [المعارج: ٢٩-٣٠].

أمرنا الإسلام أن نغضّ البصر.

أمرنا الإسلام أن لا يختلى رجل بأمرأة ولا امرأة برجل إلاّ ومعهما محرم،

---

(١) كما فى الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة: فأفضلها قول لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة، عن أبى هريرة رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٣/ ١٨٥ برقم ٣٠٩٦).

(٢) متفق عليه، عن عمران بن حصين، ورواه عنه أيضا أحمد وغيره (فيض القدير للمناوى: ٣/٤٢٧ برقم ٣٨٦٤).

فإنّ الشيطان ثالثهما إذا اختليا، قد يغرى الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل، ولا يدّعى أحد أنه ملكٌ من الملائكة، الشيطان أشطر وأمهر وأخبر.

ولهذا فإنّ الإسلام يسدّ الذرائع إلى الفساد سدّاً، فيمنع الخلوة، ويمنع التبرّج. ويمنع أن تخرج المرأة بزينتها وطيبها وعطرها فى الطرقات والشوارع، تغرى الرجال، وتجذب الشبّان.

إنّ زينة المأة فى بيتها، فإذا أرادت أن تخرج فلا ينبغى أن تتعطّر ولا أن تتطيّب، ولا يجوز لها أن تضرب برجلها ليُعلم ما تُخفى من زينتها كما قال القرآن: ﴿ **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ** ﴾ [النّور: ٣١].

لا يريد الإسلام أن يضع النّار بجوار (البترول)، وإنّما يريد أن يمنع الفساد من جذوره من أصله، وأن يسدّ الأبواب التي تهبّ منها رياح الفتنة. راعى الاسلام ضعف البشر، وغرائز البشر ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٢٨].

هؤلاء الذين يريدون أن نذيب الحواجز بين الفتيان والفتيات، ويدعون إلى برامج مشتركة للاختلاط: حفلات مختلطة، وجوّالة مختلطة، وتمثيليّات مختلطة، ورقص فلكورى مختلط، إلى غير ذلك ممّا يزعمونه من علامات التحرّر، ومن أمارات التحضّر.

هؤلاء الذين يريدون لنا أن ننفذ ما قيل عن برامج حكماء صهيون ، بحيث نستقى مناهجنا من الغرب، وأن نأخذ فلسفاتنا عن مدرسة التحليل النفسى، وعن المدارس الغربيّة الاجتماعية، وأن تركض وراء أفكار فرويد ودوركايم وماركس وأمثالهم. هذه الفتنة الغربية تريد أن تفسد على هذه الأمّة فكرها، وتفسد عليها اعتقادها، وتفسد عليها سلوكها، وتفسد عليها أسرها، وتفسد عليها مجتمعاتها.

هؤلاء الذين يريدون منّا أن ندع ديننا وقرآننا وسنة بيننا محمد ﷺ، لنتبع سننهم ونسير وراء أفكارهم، شبراً بشبر وذراعاً بذراع.

هؤلاء دخلاء علينا، أجانب منّا، غرباء عنّا، ليس لهم مكان فى مجتعاتنا.

نحن مجتمعات مسلمة نعتزّ بالإسلام، نعتزّ بالحياء، نعتزّ بالإحصان والعفاف، نعتزّ بهذه الفضائل.

ولكن مجتمعات أخرى أصبحت- والعياذ بالله - كالبهائم يتسافدون فى الطرقات! هل يُراد لنا أن نكون كهؤلاء؟! هؤلاء هم الذين حلّوا عقد الكبت! كما يقولون، فماذا صنعوا؟ حينما تركوا للفتى وللفتاة حرية الحب. . حرية ممارسة الجنس. . حرية العلاقات بين الجنسين، هل حلّوا المشكلة؟ لا والله، لقد زادت، وأصبح عقلاؤهم ومفكروهم ومصلحوهم يشكون، ويقول بعضهم: إنّ المشكلة الجنسيّة أخطر على الغرب الآن من القنبلة الذرّيّة! لأنّهم كلما ازدادوا شربًا ازدادوا عطشا، كلّما ازدادوا حرية ازدادوا بهيميّة.

لم يحلّوا المشكلة.

لماذا نريد أن نقلّد هؤلاء وعندنا ديننا، وعندنا قرآننا، وعندنا سنة نبينا محمد ﷺ؟

إن الإسلام شرع لنا الطريق الوسط والمنهج المعتدل، لم يرد لنا أن نكون - كما في بعض الأديان - رهباناً نبتعد عن الزواج، ونعتبر النساء نجساً، ونرى المرأة شيطاناً مجسّماً، لا، النبى ﷺ يقول: «حُبّب إلىّ من دنياكم: النّساء، والطيب، وجعلت قرّة عينى فى الصلاة»(١). وقال للذين أرادوا الرهبانيّة، ونزعوا نزعة الرهبانية فى الغلو والتعبد والتزهد والتنسّك - فقال من قال منهم: أمّا أنا فأصلّى الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوّج أبداً -: «أما والله إنىّ لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّى أصوم وأفطر، وأصلّى وأرقد، وأتزوّج النّساء، فمن رغب عن سنّتى فليس منّى»(٢).

---

(١) رواه أحمد فى كتاب الزهد، والنسائى، والحاكم، والبيهقى فى السنن، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وقال الحافظ العراقى: إسناده جيّد، وقال ابن حجر: حسن (فيض القدير للمناوى: ٣ / ٣٧٠ - ٣٧١ برقم ٣٦٦٩).

(٢) الحديث متفق عليه، عن أنس رضى الله عنه، وأوّله: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ، فلما أُخبروا كأنّهم تقالّوها وقالوا: أين نحن من النبى ﷺ قد غُفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر (رياض الصالحين للنووى: باب فى الاقتصاد فى العبادة، ص٧٥ برقم ١٤٣).

لم يعتبر الإسلام الزواج جريمة، ولا التفكير فى الجنس المشروع جريمة، إنّ القرآن يعرض هذا (الأمر الجنسى) فى أسمى المقامات الروحيّة حين يتحدث عن الصيام وعن الدعاء: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فى هذا المقام الرفيع يحدثنا عن الناحية الجنسيّة فيقول: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فى قلب آيات الصيام والدعاء لا يجد حرجاً من الحديث عن العلاقات الجنسيّة.

وفى نفس السورة يقول الله تعالى معلّماً للمؤمنين: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

«فأتوا حرثكم أنى شئتم»: مادام ذلك فى القُبُل. . فى موضع الحرث[١]، فلا حرج عليك فى أىّ طريقة تتبعها، لتستمتع بامرأتك.

إلى هذا الحد يتحدث كتاب كريم. . كتاب الخلود. . كتاب الله، عن هذه العلاقات، ولا يتحرّج منها.

والنبى ﷺ يقول: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال: بسم الله، اللهمّ جنّبنا الشيطان، وجنّب الشيطان ما رزقتنا، فإنّه إن قُضى بينهما ولد من ذلك لم يضرّه الشيطان أبدا»[٢]. حتى فى هذه اللحظة.. لحظة الغريزة.. لحظة

---

(١) وبنحو هذا قال أهل التأويل أمثال: ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والسدى، وغيرهم. انظر أقوالهم فى (تفسير الطبرانى: ٢/ ٣٩١ - ٣٩٣) ط. مصطفى الحلبى، وفى (الكتاب المصنّف لابن أبى شيبة: ٣/ ٥٠٩ - ٥١٠ الآثار ١٦٦٥٦ - ١٦٦٧١)ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

(٢) رواه أحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة، عن ابن عباس رضى الله عنهما (فيض القدير للمناوى: ٥/ ٣٠٦ برقم ٧٤٠٤).

دفق الشهوة، لاينسى المسلم ربه: أن يذكره ويدعوه ليتغلب على الشيطان، وبذلك ينتقل الأمر من عمل غريزى بحت إلى عمل عبادىّ مقصود.

الإسلام لايرى الناحية الجنسية قذارة ولا رجسا، إنّما تكون قذارة ورجساً حينما يُتجاوز بها الحلال إلى الحرام. أمّا إذا وضعها فى الحلال فهى عبادة، وهى صدقة، وفيها مثوبة وأجر.

ولهذا حدّث النبى ﷺ الصحابة عن أنواع من الصدقات، ثم قال لهم: «وفى بُضْع أحدكم صدقة [فى الجماع صدقة] قالوا: يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟! قال: أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر»(١) يعنى: أتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير؟!

أى دين هذا الدين العظيم الذى ينزل إلى واقع الناس، ويعرّفهم أمورهم بصراحة بلا مواربة.

الإسلام يربى الناس تربية جنسيّة منذ الصغر، يتعلم [illegible] يدرس نواقض الوضوء، أو موجبات الغسل، أو الحيض أو النّفاس، أوغير ذلك، فيتعلم كثيراً من هذ الأمور. ولكنّه يتعلّمها فى جوّ إيجابى نظيف، بعيد عن ذلك الجوّ الخبيث الموبوء. يتعلم العبارة النظيفة، العبارة المؤدبة المهذبة، كما قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[النساء:٤٣] [المائدة: ٦]، قال: اللمس والمسّ والملامسة فى القرآن كناية عن الجماع، ولكنّ الله كريم يكنّى عمّا شاء بما شاء.(٢) أى يعلم الناس أدب التعبير فى هذه الأمور، يريد أن لا يخدش الحياء، فيتحدث عنها بألطف العبارات وأرقّ الكلمات.

---

(١) رواه مسلم من حديث أبى ذرّ رضى الله عنه، وأوّله: «أنّ ناساً قالوا: يارسول الله، ذهب أهل الدُّثُور بالأجور..» انظر (رياض الصالحين للنووى: باب فى بيان كثرة طرق الخير: ص٦٩ برقم ١٢٠).

(٢) وهو الذى اختاره ابن جرير الطبرى ورجّحه. انظر تفسيره: (٥/١٠١ – ١٠٥) ط. مصطفى البابى الحلبى.

هذا ما يريده الإسلام.

الإسلام يحلّ هذه المشكلة، بل لا توجد مشكلة أصلاً فى ظلّ الإسلام.

يوم كان المجتمع مجتمعاً مسلماً فطرياً بسيطا، لا يعرف هذه الأمور الدخلية ولا تلك الأفكار المستوردة، ولا تلك العادات الغربيّة، كانت أموره تتمّ بسهولة ويسر، وكان الزواج يتم بسهولة دون تعقيد ولا تكلف ولا إسراف. والرجل يتزوج أكثر من واحدة إذا احتاج إلى ذلك، ولا يصنع ذلك مشكلة، لا مع المرأة الأولى ولا مع المرأة الثانية ولكن المفاهيم الدخيلة تريد أن تغيرّ هذا المجتمع.

هؤلاء الذين يريدون أن يُغيرّوا التركيب الإسلامى لهذا المجتمع، يريدون أن يدخلوا عليه مفاهيم جديدة، باسم هذا الصنم الجديد الذى يسمّى (التطوّر).

هؤلاء لا يعرفون روح هذا المجتمع، ولا يعرفون روح هذا الدين.

هؤلاء الذين يسمّون كلّ تصوّن وكلّ تعفّف عُقداً وكبتا، ويقولون: الذى لا يمارس الجنس مكبوت معقّد أمّا الذى أطلق لشهواته العنان وسار وراء غرائزه، فهذا إنسان عصرى، متحرر، إنسان خال من العقد!

يوسف عليه السلام حينما رأى الإغراء يوما ورأى التهديد يوماً آخر، ومن امرأة تملك أن تقول وتفعل وأن تهدّد وتنفّذ(١)، يوسف الذى يواجه هذا كلّه بإيمان القوى وقوّة المؤمن، ولجأ إلى ربه داعياً مستعيذاً ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ** ﴾[يوسف:٣٣]، يوسف الصديق كان معقداً فى نظر هؤلاء، كان مكبوتاً، لو استجاب للمرأة لكان متحضراً. . لكن متحرراً.

هؤلاء المغزوّون بالفكر الغربى وبالثقافة الغربية وبالحضارة الغربية، ليكونوا مايكونون، ولكن لا يُقبل منهم أبداً أن يؤثّروا على مجتمعاتنا، لا يقبل منهم أبداً أن ينقلوا هذه الأفكار الخبيثة النجّسة إلى مجتمع مسلم يعتزّ بإسلامه،

---

(١) حينما قالت: ﴿ .. **وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾ [يوسف: ٣٢].

ويعتزّ بتقاليده، ويعتز بفضائل العفاف والإحصان، ويرى أنّ حماية الشرف وحماية العرض من أخلاق الرجال المؤمنين.

إنّ الحضارة الغربيّة لا تعرف شيئاً اسمه العرض، أو اسمه الشرف، حتى الذين درسوا هذه اللّغات قالوا: لانرى فيها كلمة تعبرّ عمّا تعبرّ عنه الكلمة العربية (العرض) أو (الشرف)، لا يوجد فى هذه اللغات ما يماثل هذه الكلمة التى يقول فيها الشاعر:

أصون عرضى بمالى لا أدنّسه لا بارك الله بعد العرض فى المال

أحتال للمال إن أود فأكسبه ولست للعرض إن أودى بمحتال

إذا ضاع العرض فلا يعوّض، ولكن المال قد يعوّض.

هؤلاء يأتون إلينا بحضارة غربيّة دخيلة، بأفكار لا تمتّ إلينا ولا تتصل بنا ولا نعرفها.

هل يريدون أن نكون صورة كصور ذلك المجتمع؟ هل يقبل أحد منا بذلك لبنيه وبناته، هل يقبل أحد منّا لزوجته أو لأخته أو لأمّه، أن تكون مثل النساء فى أوربا وأمريكا والسويد والنرويج ولندن وغيرها؟ وقد شاهد بعضكم هناك ما شاهد فى أثناء رحلاته وجولاته.

هل يريدون أن نكون كتلك المجتمعات حذو القذّة بالقذّة أو النّعل بالنّعل..

علينا أن نعتز بهويتنا وبانتمائنا لأعظم دين، ولأفضل رسول، ولخير أمه، وإن مستقى فلسفة حياتنا، ومنهج سلوكنا من كتاب الله تعالى ومن سنّة رسوله، نستقى منهاج حياتنا من المصدر المعصوم الذى لا يضلّ ولا ينسى.

إن كانوا يستقون من (فرويد) أو من (ماركس) أو من غيرهما، فنحن نستقي من هدى محمد عليه السلام، ومن كتاب ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[فصّلت:٤٢].

نحن نرفض هذا الاختلاط العصرى الشائن، الذى يريد أن يمزّق الروابط والأعراض، وأن يذيب الحواجز بين الجنسين، وأن يحلّ ماحرّم الله، ويسقط ما فرض الله.

نحن مجتمع مسلم، كلّ ما نعتزّ به هو (إسلامنا)، ورضى الله عن أمير المؤمنين عمر حينما قال: نحن كنّا أذلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزّ بغيره أذلّنا الله.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١٥) معاكسة الفتيان للفتيات

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

تحدثنا وكررنا ولازلنا نكرر ونقرر:

أن الشباب هم ثروة الأمّة الحقيقية، أعظم ثروات الأمّة ليست الثروات المادية من الذهب الأسود، أو الذهب الأبيض، أو الذهب الأصفر، أعظم الثروات هى الثروة البشريّة، وأعظم هذه الثروة هم الشباب، لأنّهم الذين يمثّلون غد الأمّة، هم الذين يجسّدون المستقبل.

إذا أردت أن تعرف مستقبل أمّة، فانظر إلى شبابها: أين هم؟ وكيف هم؟ وما خلقهم وسلوكهم؟ وما هى اتجاهاتهم وأحلامهم؟ وما هى أهدافهم وغاياتهم فى الحياة؟

من خلال ذلك تستطيع أن تحكم للأمّة أو عليها: هل هى أمّة مكتوب لها أن ترقى وتصعد؟ أم مكتوب عليها أن تنحدر وتهبط؟

ظاهرة مؤسفة بين الشباب:

الكتاب يُقرأ من عنوانه، وعنوان الأمّة هم شبابها.

ولهذا ساءنى والله أن نرى بعض الظواهر المؤسفة بين شباب أمّتنا، فى بلادنا نحن العرب والمسلمين، وفى بلاد الخليج خاصّة.

نجد ظواهر تتفتت لها القلوب، ويندى لها الجبين من تلك الظواهر ما لا أزال أتلقّى رسائل من أجله، عشرات وعشرات من تلك الرسائل التى تشكو من معاكسة الشباب للفتيات فى خدورهنّ، وللنساء فى قعر بيوتهنّ، عن طريق الهاتف، هذا الجهاز الذى أنعم الله علينا به. وللأسف – نحن المسلمين ونحن العرب – لم نخترعه، إنّما اخترعه الخواجات لنا، يقرّب البعيد، ويسهل الصعب، ويوفّر الجهد والوقت، نعمة من الله تبارك وتعالى.

ولكن أناساً منّا بدّلوا نعمة الله كفراً، لم يشكروا الله على هذه النعمة. وشكر الله على النعمة أن تستخدمها فى طاعة الله، فيما يحب الله ويرضاه. أمّا كفر النعمة فأن تستخدمها فيما يغضب الله، فيما ليس من شأنها. نحن كفرنا بنعمة الله عزّ وجلّ، فاستخدم كثير من شبابنا هذه النعمة فى غير موضعها.

استخدموها فى الإساءة إلى ربات البيوت، إلى الفتيات من بنات الأسر والعائلات، حتى شكا النساء وشكا الرجال من هذه الظاهرة، التى يأسى لها الحر الكريم، ولا تليق بإسلام مسلم، بل ولا تليق بإنسانيّة إنسان.

فتاة فى بيتها - فى أمان الله - تجد هذا الذى يزعجها بالمكالمات تلو المكالمات، أحيانا بألفاظ سخيفة وكلمات بذيئة، وأحيانا أخرى بكلمات معسولة مزيفة، يحاول أن يسرق بها قلب الفتاة الساذجة.

هذا ما سمعنا به، وما كثرت منه الشكوى.

ثمّ زاد الطين بلّة، وزاد الداء علّة، ما علمته من الإخوة المسؤولين عن برنامج (الشرطة معك) منذ أسابيع، من معاكسات أخرى فى الأسواق والطرقات العامّة وأماكن التجمّعات. شباب فارغون عابثون يلاحقون النساء ويلاحقون الفتيات، بالكلام الجارح وباللفظ البذيىء، مّما يدلّ على فقدان الحياء، وقد قال النبى ﷺ: «إنّ ممّا أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»(١)، أى من فقد الحياء ولم يستح من الله ولا من نفسه ولا من الناس، فليفعل ما يشاء، فليس فى داخله ما يردعه.

إذا لم تخش عاقبة الليالى ... ولم تستحىْ فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى الدين خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

---

(١) رواه أحمد والبخارى وأبو داود وابن ماجة عن ابن مسعود رضى الله عنه، ورواه أحمد أيضاً عن حذيفة رضى الله عنه، لكن قوله «الأولى» ليست فى رواية البخارى كما ذكر العلاّمة المناوى: ينظر (فيض القدير: ٢ / ٥٤٠ برقم ٢٤٩٦).

«الحياء من الإيمان» (١)، «والحياء شعبة من الإيمان» (٢) و«الحياء لايأتى إلاّ بخير» (٣)، كما قالى النبى ﷺ.

ولكن الذى فقد الحياء يفعل ما يشاء، ويصنع ما يشاء، لا خلق عنده ولا ضمير ولاحياء، لا خلق يردعه، ولا عقل يمنعه، ولا خوف يقمعه.

هذه الظواهر ما كانت لتحدث فى مجتمعاتنا - مجتمعات الإسلام والعروبة - قط. هذا لا يحدث فى بلاد الكفر، فى بلاد التحلّل والإباحيّة، لأنّه إذا حدث شىء من هذا يكون عادة باتفاق الطرفين. أمّا أن يسير فتى وراء فتاة أو رجل وراء امرأة، يعاكسها رغم أنفها، فهذا مالا يحدث.

دلالة هذه الظاهرة على ضعف الدين:

علام يدّل هذا؟ يدّل هذا - أول ما يدل - على ضعف الإيمان، وعلى قلّة الدين، وأنّ هذه الضمائر فرغت من التقوى.

لو كان مثل هؤلاء الناس وهؤلاء الشباب يخافون الله، ويرجون حسابه، ويخشون الدار الآخرة، ما فعلوا ذلك، وما اجترأوا على أن يصنعوا ما يصنعون. ولكن قلوبهم خراب من الإيمان.. من تقوى الله عزّ وجل.

دلالتها على ضعف الخلق:

ودل هذا ثانيا على ضعف الخلق، وضعف المروءة والرجولة، فإنّ الإنسان

---

(١) رواه البخارى، ومسلم، والترمذى، عن ابن عمر رضى الله عنهما (فيض القدير للمناوى: ٣/٤٢٦ برقم ٣٨٥٩).

(٢) قطعة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة، ونصّه: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» [المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: برقم ١٥٧٧، ١٨٠١] و[فيض القدير: ٣/١٨٥ برقم ٣٠٩٦].

(٣) متفق عليه عن عمران بن حصين رضى الله عنه، ورواه عنه أيضا أحمد وغيره (فيض القدير للمناوى: ٣/٤٢٧ برقم ٣٨٦٤) و(المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٧٠٧ برقم ١٥٧٦). ومراد الحديث كما أوضح العلامّة المناوى: أنّ من استحيا من الناس أن يروه يأتى بقبيح، دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشدّ، فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة.

الشريف الكريم الأخلاق لا يفعل هذا، ولا يرضى هذا، لأنّه يخشى إذا فعل هذا ببنات الناس أن يُفعل ذلك ببناته.

ألا تخشى أيها الشباب، الذى يقترف هذه السيئات المنكرات أن يفعل ذلك بحرماتك كما فعلت بحرمات الآخرين؟ ألا تخشى أن يعاقبك القدر الأعلى بأن يلسط شاباً آخر يعاكس أختك، أو يعاكس أمّك، أو يعاكس إحدى محارمك؟ ألا تحب للناس ما تحب لنفسك؟

ألا تكره للناس ما تكره لنفسك؟

إن عنترة بن شدّاد – الفارس الشاعر، أحد أبطال الجاهليّة – على جاهليّته – كان عنده فضائل وأخلاق تحجزه عما لا يليق، فكان يقول:

أغشى فتاة الحىّ عند حليلها[1] وإذا غزا فى الجيش لا أغشاها

وأغضّ طرفى، إن بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها

يغضّ طرفه، لا ينظر إليها، لأنّه يرى نفسه حارساً على امرأة جاره، وعلى بنت جاره.

إنّها الأخلاق، والأمم تُبنى بالأخلاق، فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فاقم عليهم مأتماً وعويلا

دلالتها على فراغ النفس من المثل العليا:

ويدلّ هذا على فراغ النّفس من المثل العليا، فمثل هؤلاء لو كان عندهم طموحات.. لو كانوا يعيشون لآمال كبيرة.. لأهداف عظيمة.. لرسالة يؤدّونها فى الحياة، ما فكّروا فى ذلك. ولكن هؤلاء فرغوا من التعلّق بالآمال العظيمة.

لو فكّروا فى مثل ما كان يفكّر فيه شباب الصحابة وشباب السلف الصالح: أسامة بن زيد الذى قاد الجيش وفيه بعض كبار الصحابة وهو ابن الثامنة

---

(١) أى: أزور الفتاة ابنة الحى فى حضرة زوجها رعاية لجوارها وقرابتها (القرضاوى).

عشرة، ومحمد بن القاسم الثقفى الذى قاد الجيوش لفتح الهند وهو ابن السابعة عشرة، وقال فيه الشاعر:

إن السماحـة والمروءة والنّدى لمحمّد بـن القاسم بن محمّد
قاد الجيوش لسبع عشرة حِجّة ياقرب ذلك سُؤدداً من مولد

قاد الجيوش إلى بلاد لم يمكن يعرفها قبل ذلك، ولكنّه خاضها بجيشه ولم يبال، وهو ابن السابعة عشرة.

ولو فكّروا فى مثل ما يفكر فيه أطفال الحجارة.. جيل ثورة المساجد، الذين يقاومون رصاص اليهود بالحجارة يقذفونها، بصدورهم يتلقون الرصاص، بعظامهم تُكسر بالبنادق، لو كان عندهم مثل هذه الهمم مافعلوا مثلما فعلوا.

بل لو كان عندهم مثل ماعند شباب اليهود وبنات اليهود - جيوش اليهود التى قهرتنا مرّات كثيرة تتكوّن من شباب وشابات وبنين وبنات - هؤلاء الذين جاءوا من هنا وهناك.. من الشرق ومن الغرب.. ومن الشمال والجنوب، وتركوا الأقطار التى يعيشون فيها، ليقيموا دولة (إسرائيل)، ليقيموها على أنقاضنا.. على أشلائنا. وهم لا يكتفون بإسرائيل الصغرى، بل ينشدون إسرائيل كبرى: (ملك إسرائيل من الفرات إلى النيل)، هكذا زعموا أنّ الرب أعطاهم.

لو كان عند هؤلاء طموح مثل طموح شباب اليهود وبنات اليهود، ما فعلوا الذى فعلوا، لكن أنفسهم فارغة من كلّ طموح.

لو شغلوا أنفسهم بشىء ينفع.. برياضة تقوّى أجسامهم... بكتاب نافع يقرأونه.. بهواية نافعة.. بالعمل فى جمعيّةعلميّة، أو جمعية خيريّة، أو جمعية اجتماعيّة، يفرغون فيها بعض طاقتهم، لو اشتغلوا بهذا ما صنعوا الذى صنعوا، ما ساروا فى الطرقات عابثين، لاهين، فى غمرة ساهون ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[الحجر: ٧٢].

لقد دلنا هذا على أنّ هناك فراغا رهيبا لدى هؤلاء الشباب، ليس فراغ وقت فقط، بل فراغ نفس كذلك، وهو أشد خطرا.

هناك فراغ وقت، وفراغ الوقت نعمة لمن يستفيد منه كما قال النبى ﷺ : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصّحة، والفراغ»[١] ولكنهم لا يعرفون قيمة هاتين النعمتين، ولا يؤدون شكرهما.

ولكن أهمّ من فراغ الوقت : فراغ النفس.

هؤلاء نفوسهم فارغة من القيم الرفيعة، ليس لديها شئ يشغلها، ومن لم يشغل نفسه بالحق شغلته نفسه بالباطل.

ومن ترك نفسه فارغة، عَشّش فيها الشيطان! النفوس لا تترك فارغة، لابدّ أن تملأ بشيء، فإذا لم يكن هذا الشيء خيراً كان شرا، وإذا لم يكن هدى كان ضلالا، و إذا لم يكن حقاً كان باطلا.

دلّ هذا المسلك المنحرف على ضعف الدين، وضعف الخلق، وفراغ النفس.

ضعف التربية الأسرية من الصغر :

ودلّ ذلك أيضا على قلة الأدب، وسوء التوجيه، وعلى ضعف التربية عندنا : لو كان وراء هذا الفتى أب يشعر بمسؤوليته عنه، يرعاه ويحسن توجيهه.. أب رباه وعلّمه منذ نعومة أظفاره على التدين، والتمسك بقيم الدين، وغرس فيه حبّ الخير، وكراهية الشر، وزرع فيه الرغبة فى الفضيلة والنفور من الرذيلة، وعلّمه أنّ هذا يجوز وهذا لا يجوز، هذا حلال، وهذا حرام وعلّمه أن يصلّى منذ سبع سنين وضربه أو هدده بالضرب على ترك الصلاة بعد عشر سنين. لو كان هناك أسرة ترعاه وتهتم به وبتأديبه وتربيته، ماحدث مثل هذا.

هذا حصاد غرس سيّء، هذه نتيجة لمقدّمات. المقدّسات لابدّ أن تأتى بنتائجها، من يزرع الشر لا يحصد إلاّ الشر. وكما قال العرب : إنك لا تجنى من الشوك العنب!

---

(١) رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة، عن ابن عباس رضى الله عنهما (فيض القدير للمناوى : ٦ / ٢٨٨ برقم ٩٢٨٠).

ضعف التربية فى الصغر، وضعف الرقابة فى الكبر، هو السبب فى هذه الانحرافات، التى تبدأ صغيرة ثم تكبر،محدوده ثم تنتشر.

هذه مسؤوليّة الأسرة: «كلّكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيّته، والرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيّته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيّتها..»(١).

للأسف ليس هناك اهتمام، هناك ضعف فى الرقابة الأسرية. الولد يسهر إلى مابعد منتصف الليل، أين يسهر؟ لايعرف الأب شيئا. من أصدقاؤه؟ لا يعرف عنه شيئا. وكثيراً ما تكون المصيبة مِنّ أصدقاء السوء الذين هم شياطين الإنس، وقد يكونون شرّاً من شياطين الجن، يزيّنون له الغواية، ويزينّون له الباطل والشر والفساد، وصديق السوء - أو جليس السوء - مثله كمثل نافخ الكير، إن لم يحرقك بناره أصابك دخانه(٢).

الأسرة فى غفلة لا تراقب أولادها، ولا تراقب بناتها. المفروض أن يوضع الهاتف فى مكان فى البيت يراه الجميع، حيث لا يختبىء أحد ويستخدمه حيث لا يعلم الآخرون.

لابّد من يقظة، لابدّ من رقابة، هذه مسؤوليّة.

ليست مهمّة الأب والأم أن يخلّفا أولاداً (أبناء وبنات)، ثم يتركا حبلهم على غاربهم، ولايدريا عنهم شيئا، لا، إنّ الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[التحريم: ٦].

---

(١) قطعة من حديث ابن عمر رضى الله عنهما الذى رواه البخارى ومسلم وتتمته: «والخادم راع فى مال سيّده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٥٥٣ برقم ١١٠٨).

(٢) هذا معنى ما جاء به الحديث النبوى الذى رواه البخاري عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، ونصّه كاملاً: «مثل الجليس الصالح و الجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحدّاد، لا يعدمك من صاحب المسك إمّا أن تشتريه أو تجد ريحه، وكيرُ الحدّاد يحرق بيتك أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة» انظر (فيض القدير للمناوى: ٥/٥٠٧ برقم ٨١٣٠).

كما أنّك مسؤول أن تغذّى أولادك وتوفّر لهم الطعام والشراب واللباس، وفرّ لهم الأدب وحسن التربية، كما جاء فى الحديث: «ما نَحَلَ والد ولده أفضل من أدب حسن»(١)، أفضل نحلة وأفضل عطيّة وأفضل هدية وهبة تهديها إلى ولدك: الأدب الحسن، يجلب لك الذكرى الحسنة فى الدنيا وفى الآخرة.

أمّا سوء الأدب فلا يجلب عليك إلاّ اللعنة فى الدنيا والآخرة، سيقولون: لعنه الله ولعن من أنجبه ولم يحسن تربيته. ولد السوء يجلب على أهله لعنة الدنيا ولعنة الآخرة.

ضعف التربية المدرسية:

وليس ضعف التربية الأسرية هو المسؤول وحده، فهناك لاشك خلل وقصور فى التربية المدرسية. المدرسة لم تعد تقوم بدورها المنشود فى حسن توجيه الأولاد الى الخير وتنشئتهم على الفضائل. وكأنما أصبحت مجرد مكان يلتقى فيه الأولاد، لنحشى رؤوسهم ببعض المعلومات، ليفرغوها عند الامتحانات على الأوراق، دون أن يكون لما تعلموه أثر يذكر فى تثقيف عقولهم، أو تهذيب نفوسهم، أو ترقية سلوكهم.

لقد فقدوا فى أكثر الأحيان (المعلم القدوة) الذى يربى التلاميذ بحاله أكثر مما يربيهم بمقاله، ويؤثر فيهم بسلوكه وحبه وعواطفه وحسن تعامله معهم، وأبوته لهم، وغيرته عليهم، أكثر مما يؤدبهم بالقيل والقال.

ضعف الرقابة الاجتماعية:

ويجوار ضعف الرقابة الأسريّة، هناك ضعف الرقابة الاجتماعية، فالرأى العام فى الإسلام مسؤول.

---

(١) رواه الترمذى عن عمرو بن سعيد بن العاص وقال: حسن غريب، ورواه الحاكم عنه وقال: صحيح، فردّه الذهبى وقال: بل مرسل ضعيف، ورواه الطبرانى عن ابن عمر وفيه راو متروك، ورواه البيهقى فى الشعب عازياً للبخارى فى التاريخ (فيض القدير للمناوى: ٥/٥٠٣ برقم ٨١١٨).

الإسلام جاء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل المجتمع مسؤولاً بعضه عن بعض ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾[التوبة: ٧١].

بجوار الضمير الفردى لابدّ من ضمير اجتماعى يقظ، يعرف المعروف وينكر المنكر، فإذا وُجد منكر شاع بين الناس لابدّ أن يتدخل الرأى العام.

أمّا أن يقول كلّ إنسان: ما شأنى؟ ويرى أمامه الفساد ويغض طرفه عنه، ويسكت عليه، والساكت عن الحق كالناطق فى الباطل، إنه شيطان أخرس.

كيف تدع المنكر أمامك ولا تتكلّم؟!

هؤلاء الذين يفعلون ما يفعلون فى الطرق لماذا لاينكر عليهم الناس؟ لماذا لا يكون الناس أشدّاء عليهم فى الحق؟

لو وجد هؤلاء أنّ هناك من يغضب للحرمات إذا انتهكت، وأنّ الناس لا يسكتون على ذلك، ما اجترأ أحدهم أن يفعل ما يفعل. ولكن الناس سلبيوّن، كلّ يقول: نفسى نفسى.

لا، لايجوز هذا فى مجتمع مسلم يتواصى بالحق، ويتواصى بالصبر.

المجتمع المسلم مسؤول عّما يجرى فيه. ليس هناك مسؤوليّة فرديّة ولا شك، ولكن بجوارها توجد مسؤوليّة اجتماعية: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[الأنفال: ٢٥] حينما تنزل النقمة تأخذ الجميع: الذين فعلوا المنكر، والذين سكتوا عليه.

لابدّ أن تقوى الرقابة الاجتماعيّة.

مسؤلية الفتيات فى زيّهن وحركاتهن:

هناك أمر لابدّ أن نشير إليه هنا:

هو أن كثيراً من النساء والفتيات اللاتى يظهرن فى الطرقات والمجامع والأسواق، يكنّ على مظهر يغرى بالمعاكسة.

المرأة المحتشمة، والفتاة الملتزمة، التى تلتزم أدب الإسلام فى زيّها ولباسها، فى مشيتها وحركاتها، فى كلامها إذا تكلّمت، فى نظرتها إذا نظرت فى مشيها إذا مشت، فى حركتها إذا تحركت. هذه لايمكن أن يطمع فيها طامع، ولذلك يقول القرآن: ﴿ **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴾[الأحزاب: ٣٢]، الخضوع بالقول هو التكسر والتميع، وتعمد الإغراء للرجل، بطريقة الكلام.

ومثله الخضوع بالفعل: أن تمشى متثنية متكسّرة.

ومثله الإغراء باللباس والزىّ: أن تلبس الملابس الرقيقة، الشفافة، أو الملابس المحدّدة لمفاتن الجسم، وأن تتعمدّ إظهار شيىء مما يجب ستره من جسمها.

كلّ هذا إغراء لأولئك المفسدين، وقد قال القرآن: ﴿ **وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ** ﴾ [النّور: ٣١]. إنها حركة بالأرجل، للفت الأنظار، وجذب الانتباه، وهذا لا يجوز من مسلمة تخاف الله.

إن الله تعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ** ﴾[الأحزاب: ٥٩]، إذا احتشمت المرأة ولبست لباسها الشرعى، عرفت بأنّها امرأة وقور، أو فتاة ملتزمة، فلا يؤذيها أحد.

إنّ كثيراً من الفتيات يجرّئن الذين فى قلوبهم مرض - مرض الشهوة ومرض الغريزة الجنسيّة - على أن يسيروا خلفهنّ، ويطاردنهنّ بالكلمات وبالحركات.

مسؤولية الإعلام:

وهناك مسؤولية أجهزة الإعلام، التى تدغدق العواطف، وتثير الغرائز، بهذا السيل المتدفق من الأفلام والمسلسلات والصور والأغانى، وغير ذلك من المثيرات والشهوة الجنسيّة غريزة عاتية، حتى أنّ بعض علماء النفس فسّر بها السلوك البشرى كلّه، واعتبرها أعتى غريزة فى الإنسان، فهى ليست فى حاجة إلى إثارة.

فكيف إذا كانت هناك المثيرات بالصورة، وبالكلمة، وبالنّغم، وبالموسيقى، وبالتشويق، وبالقصص وبالدراما وبالمسلسلات؟!

هذا كلّه يشحن هؤلاء الشباب، ويعبّئهم ويلهيهم، ولابدّ أن يظهر ذلك في سلوك ما.

تعاون المؤسسات كلها:

الكلّ إذن مسؤول، ولابدّ أن يتعاون الجميع على مقاومة هذه الظواهر السلبيّة: الأسرة والمجتمع والدولة، وأجهزة الإعلام، وأجهزة رعاية الشباب، والمدرسة والجامعة والمسجد، كلّ هذه يجب أن تتعاون لهذه الرعاية.

لا يجوز أن يبنى بعضُها ويَهدِم البعضُ الآخر، لأنّه لن نصل فى هذه الحالة إلى نتيجة، وكان الأمر كما قال الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟!

وخصوصاً أنّ الهدم أسهل من البناء.

الشاعر قديماً قال:

فلو ألفُ بانٍ خلفهم هادم كفى فكيف ببان خلفه ألف هادم؟!

هدّام واحد يكفى أن يهدّ ما بناه ألف شخص، وخصوصاً فى عصرنا، لأن الهدم لم يعد بالفأس، إنّما هو بالألغام، لغم واحد يهدم عمارة ضخمة و ينسفها نسفاً فى لحظات. وهذا كما يُقال فى الماديات يقال فى المعنويات، أجهزة جبارة تستطيع أن تهدم وتنسف.

لهذا ينبغى أن يتعاون الجميع على صدّ هذه التيارات، الدخلية على مجتمعاتنا، التى لا تتناسب مع أخلاقنا ولا مع ديننا ولا مع مواريثنا ولا مع تقاليدنا.

ويجب أن يُعاقب كلّ من يثبت عليه العبث والانحراف، فإنّ من أمن العقوبة أساء الأدب.

ضرورة الرقابة والعقاب:

ينبغى أن تكون هناك شرطة فى الأسواق وفى بعض الأماكن، لتمسك بتلابيب من يصنع مثل هذا الصنيع، ثم يأخذ جزاءه، أيّاً كان وضعه فى المجتمع. إن كان طالباً فى المدرسة فصلته وزارة التربية والتعليم، وإن كان طالباً فى الجامعة فصلته الجامعة وألقى فى الطريق، لأن مثله لا يصلح أن يكون جامعيّاً، إذا كان فى وظيفة أُخرج من وظيفته وعُزل عنها.

لابدّ من العقاب، العقوبة شرعها الله تبارك وتعالى، سنّة الله فى الدنيا والآخرة أن يُثاب المحسن وأن يُعاقب المسيىء، فلا بدّ من العقاب، وإلاّ فإنّ من أمن العقاب أساء الآداب.

يا أيّها الإخوة:

إنّنا ورثة خير المجتمعات: مجتمع رسول الله ﷺ، ومجتمع الصحابة، ومجتمع التابعين، وخير القرون.

الأمّة التى فتحت العالم بالعدل والإحسان، والعلم والإيمان، والفضائل والأخلاق، هذه الأمّة لا يجوز أن ندع العابثين يعبثوا بها، ويضيّعوا مقدرّاتها. وإنّما ينبغى أن نحرص عليها بالتربية.. بالرعاية. بحسن التوجيه.. بالعقوبة عند اللزوم.

حينما نفعل ذلك نصون أبناءنا وبناتنا، نصون شبابنا، ونصون مجتمعاتنا، ونصون هذه الثروة الحقيقية.

وإلاّ بدّدنا ثروتنا، وحكم علينا بما يحكم على السفهاء، الذين يبدّدون الثروات.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا فى ديننا، وأن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا إنه سميع قريب.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

منذ أسبوعين حدثت بعض التصرّفات السخيفة من بعض الصبية الذين يحضرون المسجد، ولا أدرى كيف يتركهم آباؤهم يرتكبون مثل هذا؟

لقد شكا إليّ عدد من الإخوة ما يحدث فى المسجد من الصبيان الذين يحضرون، وكأنّما يحضرون للعبث واللعب، وبعضهم ليس صغيراً، ليس فى سنّ الخامسة ولا فى سنّ السادسة ولا فى سنّ السابعة، بل بعضهم أكبر من ذلك.

منذ أسبوعين فعل هؤلاء الصبية أفعالاً تسىء إلى هذا المسجد، وتسىء إلى هذا البلد، وتسىء إلينا جميعا. ذهبوا إلى الكاميرا أثناء الصلاة، وبدأوا يفعلون أشياء غريبة جداً: يخرجون ألسنتهم ويظهرون حركات حمقاء،!! وظلّوا يفعلون ذلك إلى ما بعد أن انتهت الركعة الأولى، وظهر هذا فى التليفزيون وفى أماكن شتىّ، وهذا أمر لا يليق قط.

هؤلاء لابدّ أنّ لهم آباء هنا، وصورهم موجودة ومسجّلة، ويمكن معرفتهم.

وهؤلاء ليسوا أطفالاً، بعضهم عمره اثنا عشر أو ثلاث عشرة سنة!

كيف يحدث هذا؟!

هذا دليل – كما قلت لكم – على أنّ الرقابة الأسريّة ضعيفة، وأنّ التربية ضعيفة، فلابدّ من عناية بأولادنا.

هؤلاء قطعاً إذا كانوا يفعلون ذلك فى المسجد، بعد أن يكبروا سيفعلون فى الشوارع ما يفعل الآخرون الذين تحدثنا عنهم فى الخطبة الأولى، فمعظم النّار من مستصغر الشرر، والألف تجرّ إلى الباء، والصغير يدفع إلى الكبير.

لايجوز استحقار مثل هذه الأعمال، لابدّ أن نقف لها بالمرصاد، ولابدّ أن نؤدّب أولادنا ونلزمهم بمكارم الأخلاق وفضائل الصفات، فمن شبّ على شىء شاب عليه.

إنها مسؤوليّة أيّها الإخوة، فلنرع الله ولنراقب الله فى هذه المسؤوليّة، وإلاّ فإنّنا محاسبون ومسؤولون فى الدنيا والآخرة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كلّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شر.

اللهم أكرمنا ولاتهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنّا وأرضنا.

اللهمّ طهرّ أقوالنا من اللغو، وطهّر أعمالنا من العبث، وطهّر أنفسنا من الضعف، وطهّر قلوبنا من الغش، وطهّر ألسنتنا من الكذب، وطهّر أعيننا من الخيانة، وطهّر أعمالنا من الرياء.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك.

اللهم احفظ شبابنا بالإسلام، واحفظ شبابنا للإسلام، وقهم الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم اجعل شبابنا هذا شباباً خيراً طيباً مباركاً فيه، اللهم اعصمهم من فتن هذا الزمان، اللهم أعنّا على حسن توجيههم وتربيتهم.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد الإسلام.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحشر: ١٠].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٧].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾**[الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٥].

(١٦) وصايا للشباب المسلم المغترب

الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

نحن الآن في مؤتمر الشباب(١)، مع الشباب المسلم، والشباب مرحلة القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، كما قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ** ﴾[الروم: ٥٤].

الشباب مرحلة القوّة، مرحلة الحيويّة الدافقة. ولهذا كانت المسؤوليّة عن هذه المرحلة أكبر، وكان كلّ إنسان يُسأل ليوم القيامة أسئلة أربعة رئيسيّة، يُسأل منها سؤالين عن عمرة عامّة وعن شبابه خاصّة: «ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»(٢).

الشباب هم حملة الدعوات الربانية:

ومن هنا كان الشباب حملة الدعوات دائماً، وحملة راية الراسلات.

كان أتباع موسى ذرّيّة من قومه نابتة ناشئة: ﴿ **فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ** ﴾[يوسف: ٨٣].

كان أصحاب الكهف - الذين خلّد الله ذكرهم في أعظم كتبه - فتية: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾

[الكهف: ١٣]

---

(١) عُقد هذا المؤتمر فى أحد الملتقيات السنوية لرابطة الشباب المسلم العربى فى أمريكا، كما يبدو فى الخطبة. ولا أدرى فى أى مدينة كان، ولا فى أى سنة كان. (القرضاوى).

(٢) رواه البيهقى وغيره من حديث معاذ جبل رضى الله عنه، كما رواه الترمذى عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه مع اختلاف فى اللفظ انظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ١٣١ برقم ٨٥).

كان ابراهيم عليه السلام حينما عزم على أن يحطّم الأصنام بفأسه فتى: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾[الأنبياء: ٦٠].

وقال ابن عباس معقبا على هذه الآية: ما بعث الله نبيا إلا شابا، ولا أوتى العلم عالم إلا وهو شاب.

كان إسماعيل فتى غلاماً حينما سلّم رقبته لله، حين عرض عليه أبوه أن يذبحه امتثالاً لأمر الله: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

[الصّافات: ١٠٢]

كان يوسف فتى شاباً حين تعّرض للمحن من كلّ نرع، وأشدها خطراً: تلك الفتنة التى كانت تصابحه وتماسيه، وتراوحه وتغاديه، فتنة الشهوة، فتنة المرأة التى عرضت نفسها عليه، ولم تكتف بالتلميح عن التصريح، وهيّأت الأسباب ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣]. وهدّدته المرأة أمام نسوة المدينة: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [يوسف: ٣٢]

وكان يوسف عليه السلام بين محنتين: محنة فى دنياه ومحنة فى دينه. محنة فى دنياه: أن يسجن ويكون من الصاغرين، كما هدّدت المرأة التى تملك أن تنفّذ وأن تؤثّر فى السلطات. ومحنة فى دينه: أن يزنى ويكون من الفاسقين.

وآثر الشاب المؤمن يوسف بن يعقوب عليهما السلام محنة الدنيا على محنة الدين، كما علمنا الرسول أن نقول: اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا[١]،

---

(١) كان من دعائه المأثور ﷺ: «ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا» ومعناه كما ذكر العلامة المناوى: أى لا تصيبنا بما ينقص ديننا من أكل حرام واعتقاد سوء وفترة فى عبادة انظر الحديث (١٥٠٥) فى (فتح القدير)، وقد رواه الترمذى وقال: حديث حسن، وأقرّه النووى، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط البخارى، عن ابن عمر رضى الله عنهما.

آثر أن يسجن وناجي ربه قائلا: ﴿ **رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [يوسف: ٣٣].

كان أصحاب رسول الله ﷺ شباباً، أكبرهم كان أبا بكر الصديق وكان فى الثامنة والثلاثين حينما دخل الإسلام، وكان فيهم من دون العاشرة مثل على بن أبى طالب. كانوا شباباً هم الذين نصروا الإسلام، وناصروا رسول الله ﷺ ووقفوا بجواره، ضد أولئك الشيوخ الذين أبوا إلاّ أن يسيروا على ما سار عليه آباؤهم وقالوا ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾ [الزخرف: ٢٣].

الشباب المسلم فى أمريكا:

ولا عجب إذن أن نجد الذين يحملون رسالة الإسلام اليوم جلّهم من الشباب.

ولا عجب أن نجتمع اليوم مع الشباب فى هذا البلد، أن نعيش فى يوم من أيّام الله.. فى يوم من أيّام الإسلام، أن نعيش مع الشباب المسلم، وأين؟ فى قلب أمريكا! أن نعيش مع هذه الأصوات المرتفعة بالتكبير، مع هذه الألسنة الرطبة بذكر الله، مع هذه القلوب العامرة بحب الله وبخشية الله، أن تقام الصلوات، أن يُتلى كتاب الله عزّ وجلّ، فى قلب هذه البلاد.

من هيّأ ذلك؟

إنّه الشباب المؤمن، إنّه الشباب الذى حمل الدعوة الإسلاميّة منذ نصف قرن من الزمان.

كانت الخطط مهيّأة على أن يُصهر هذا الشباب صهراً فى بوتقة الكفر، وأن يُغرّب تماماً عن دينه وعن قومه، وأن يُبعد عن الإسلام: يُغرب فكره، ويُغرّب سلوكه، ويُغرّب اعتقاده وتغرب عاداته، ويعيش فى أمّته باسم شرقى أو عربى أو إسلامى، ولكن بعقل غير عقل المسلم، وبقلب غير قلب المسلم.

هكذا أرادوا.

ولكن الله سبحانه وتعالى هيّأ لدينه وهيّأ لرسالته وهيّأ لدعوته شباباً يحملون هذه الدعوة، وأصابهم ما أصابهم فى بلاد شتّى وفى محن متلاحقة، اختلطت فيها السياط باللحوم والدماء، وصنعت الكرابيج ما صنعت فى الظهور، وكويت الأبدان بالنّار، ومع هذا ظلّ هذا الشباب مؤمنا.

وجاء رصيد آخر وأجيال أخر، تحمل رسالة الإسلام، لم يُخفها ما نزل بإخوان لها من قبل، لم ترهبها السياط ولا الحديد ولا النّار، وقام المجاهدون فى كلّ مكان من الشباب، ومنهم هذا الشباب الذى يعمل لدينه، فى بلاد غير البلاد التى نشأ فيها الإسلام وقام فيها الإسلام.

وكان من فضل الله ونعمته أن وجدنا الشباب المسلم فى ديار الغرب وفى ديار الشرق أيضا. فقد وجدت هذا الشباب فى الشرق الأقصى كما وجدتهم فى الغرب الأقصى.

وجدت هؤلاء الربّانيّين الصوّامين القوّامين، صوّام الخميس والاثنين، قرّاء القرآن، قوام الليل والمستغفرين بالأسحار.

رأيت هؤلاء الربانيّين المصرّين على أن يعيشوا بالإسلام، وعلى أن يعيشوا للإسلام، أو يموتوا فى سبيله.

إنّه الإسلام، إنّه خلود هذا الدين، إنّها معجزة محمد ﷺ، المعجزة الخالدة الباقية: أن يظلّ لهذا الدين من يحرسه، ومن يحمله فكرة واضحة فى الرؤوس، وعقيدة راسخة فى القلوب، وخلقاً فاضلا فى الناس وعملاً صالحا فى الحياة، ورسالة تنادى الدنيا كلّها: أن اخرجى من الظلمات إلى النوّر، وراء محمدّ عليه الصلاة والسلام.

مسؤوليات المسلم المغترب:

يا أيّها الشباب: عليكم فى هذه الديار عّدة مسؤوليّات:

١- المحافظة على الشخصية المسلمة:

أوّل مسؤوليّة وأوّل واجب عليكم: أن تظلّوا محافظين على شخصيّتكم المسلمة.

حافظ أيها المسلم المغترب على شخصيّتك الإسلامية، إيّاك أن تنماع أو تذوب فى هذا المجتمع، فتفقد نفسك وتخسر ذاتك.

وما قيمة أن تكسب درجة علّمية وتخسر الدرجات العلى عند الله عزّ وجلّ؟! ما قيمة أن تكسب شهادة وتخسر الشهادتين: شهادة أن لا إله إلاّ الله وشهادة أنّ محمداً رسول الله؟! ما قيمة أن تجمع الدنيا وتخسر دينك، كما فعل بعض الناس هنا فى هذه البلاد وفى غيرها: جمعوا أموالاً وخسروا أنفسهم والعياذ بالله؟!

ما قيمة هذا كله؟

لا قيمة لهذا إذا لم تحتفظ بشخصيّتك الإسلامية: مصلياً، مزكياً، صائماً، ممتنعاً عن المحرمات، غيوراً على حدود الله، حريصاً على دينك حيثما كنت ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[البقرة: ١١٥].

إن؟ الله يُعبد فى كلّ مكان «اتق الله حيثما كنت..»[١]. هذه وصيّة رسول الله ﷺ لك أيها المسلم حيثما كنت: فى الشرق أو فى الغرب، كنت فى أمريكا أو فى أوروبا، كنت فى اليابان أو فى روسيا، أو فى أفريقيا أو استراليا.

فى أىّ مكان كنت أتق الله، عش بإسلامك، احتفظ بإسلامك.

هذه هى السؤولية الأولى، هذا هو واجبك أيها المسلم، أن تعيش بالإسلام معتزًا به شامخاً بأنفك، رافعاً رأسك، بأن الله أكرمك بالإسلام.

إيّاك أن تتوارى لأنّك مسلم، لا، إنّك وحدك الذى تحمل رسالة الخلود، وتحمل هداية الوجود. إنّك وحدك الذى تملك الوثيقة السماويّة الفذّة الوحيدة التي لم يعترها تحريف ولا تبديل، تملك (القرآن العظيم).

---

(١) قطعة من حديث رواه احمد، والترمذى وقال حسن صحيح، والحاكم وصحّحه على شرط الشيخين وأقره الذهبى، والبيقهى فى شعب الإيمان، والضياء فى المختارة، والدارمى، عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه. وتتمّته: «واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق النّاس بخلق حَسَن. (فيض القدير للمناوى: ١ / ١٢٠ برقم ١١٥).

إنّك وحدك الذى تملك المنهج المتوازن الذى لايسعد الدنيا غيره، تملك الإسلام الذى يجمع بين الدنيا والآخرة، ويوفّق بين العقل والقلب، ويمزج بين الروح والمادة، ويربط بين الأرض والسماء، ويؤاخى بين الحقوق والواجبات، ويوازن بين الفرد والمجتمع.

إنه المنهج الوسط للأمّة الوسط: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾[البقرة: ١٤٣].

٢ - المحافظة على الذرية والأسرة:

وليس المطلوب أن تحتفظ بشخصيتك المسلمة لنفسك فقط، بل لأهلك إن كنت متزوّجاً، حافظ على إسلام زوجتك، وحافظ على شخصية أولادك، وعلى إسلام أولادك إن كنت صاحب أولاد. إيّاك أن تدع أولادك يذوبون في المجتمع كما يذوب الجليد تحت أشعة الشمس. بقول ربنا عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم: ٦].

ولقد قلت لبعض الناس الذين قالوا: نحن هنا لا نستطيع أن نعيش بالإسلام ولا أن نربى أولادنا على الإسلام، قلت: إن فعودوا من حيث جئتم، ابدأوا رحلة العودة من الغد، أو من اليوم، ولا تبقوا فى مكان لا تستطيعون أن تقوا أنفسكم وأهليكم فيه من النار.

عليكم أن تحتفظوا بشخصيّتكم الإسلامية معتزين بها، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[فصّلت: ٣٣]، أى قالها مغالياً مفاخراً معتزاً أنّه من المسلمين. إنّه لا يفتخر بأنّه عربى أو عجمى، وإنّما يفتخر بهذه النّسبة: إنّه من المسلمين.

أبى الإسلام لا أب لى سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

٣- الدعوة إلى الإسلام:

ثم عليك أيّها الأخ المسلم.. أيها الشاب المسلم المغترب، أن تدعو إلى

الإسلام فى هذه الديار، أن تعيش داعية لهذا الدين. لا تظنّ أن الدعوة إلى الإسلام مقصورة على المشايخ أو العلماء، أو أهل الفكر أو المحاضرين، لا ، كلّ مسلم داعية لدينه، كلّ مسلم مخاطب بقول الله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[النحل: ١٢٥].

كلّ من اتبع رسول الله ﷺ هو من أهل الدعوة، فالله تعالى يخاطب رسوله بقوله: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾[يوسف: ١٠٨] فإذا كنت من أتباع محمد ﷺ فلابدّ أن تدعو إلى الله، وتدعو إليه على بصيرة.

وكلّ يدعو على قدر طاقته: هناك من يدعو بتأليف كتاب، وهناك من يدعو بإلقاء محاضرة، وهناك من يدعو بخطبة، وهناك من يدعو بالكلمة الطيبة، ومن يدعو بالأسوة الحسنة، ومن يدعو بزيارة لصاحبه.

كل مسلم يدعو كيف استطاع، المهم أن يحمل روح الداعية، أن يعرف أنّه مسؤول عن تبليغ رسالة الإسلام. تأسيا برسوله الكريم ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾[المائدة: ٦٧].

عارٌ علينا أيّها المسلمون أن يوجد لكل فلسفة من الفلسفات، ولكلّ دين من الأديان، ولكل مذهب من المذاهب، دعاة وأنصار وأتباع وحماة، يحاولون أن ينشروه وأن يتبنوه، وأن يُعلوا كلمته، ولا يجد الإسلام من بين أبنائه من يحميه وينصره ويبلغه للناس، لا، لايجوز هذا يامسلمون.

قرأت فيما قرأت: أنّ رجلاً درس الإسلام وقرأه فقال هذه الكلمة: ياله من دين لو كان له رجال!

انظروا: مع انّ للإسلام أمّة تنتسب إليه، وتُحسب عليه، تُقدّر بأكثر من المليار من البشر (ألف مليون)، ولكن أكثر هؤلاء لا يُعدون رجالاً للإسلام.

يزحمون الأرض من كثرتهم ثم لا يغنون فى أمر جلل!

كثرة كما سمّاها النبى ﷺ «كغثاء السيل»[1].

نحن لا نريد هذه الكثرة الغثائيّة، وإنّما نريد المؤمنين الذين نذروا أنفسهم للإسلام، وللدعوة إليه.

إنّ الشاعر قديماً نظر إلى الملايين من حوله، من سواد الناس، ومن الجماهير الغافلة، فقال:

ماأكثر الناس لا بل ما أقلّهم الله يعلم أنّي لم أقل فَنَدا!

إنّي لأفتح عينى حين أفتحها على كثير، ولكن لا أرى أحدا!

شخوص، أجسام بلا أحلام، أشباح بلا أرواح، خشبٌ مسنّدة! ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما الدخل! هؤلاء ليسوا هم الذين ينصرون الإسلام.

إنّنا نريد للإسلام رجالاً من أمثال الصحابة، نريد صحابة جددا، يحملون يقين الصحابة، وروح الصحابة، وعزائم الصحابة، وفضائل الصحابة.

ومن الصحابة؟ إنّهم أناس مثلنا. فرق ما بيننا وبينهم أنّهم نشأوا فى شرك وجاهليّة صريحة، ونحن نشأنا فى مجتمعات إسلاميّة. فعلينا إذن أن نحذو حذوهم، وأن نكون مثلهم، وأن ننصر الإسلام من جديد، ولعلنّا يكون لنا من الأجر أكثر ممّا لكثير من الصحابة، وإن لم نسعد برؤية رسول الله ﷺ كما سعدوا بها، ولعل هذا يجعل لنا مزية.

وقد جاء أنّ النبى ﷺ خرج يوماً على جماعة من أصحابه فقال: «أىِ

---

(١) فى الحديث الذى رواه أبو داود عن ثوبان رضى الله عنه ونصّه: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قال قائل: يارسول الله ومن قلّة يومئذ؟ قال: لا بل أنتم كثير، ولكنّكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوّكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله فى قلوبكم الوهن. قال قائل: يارسول الله وما الوهن؟ قال: حبّ الدنيا وكراهية الموت» والحديث فيه راو مجهول وباقى رجاله ثقات، لكن رواه أحمد فى المسند بنحوه من طريق آخر، وسنده قوى، فصحّ به.

ينظر (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ١٥/ ١٦ برقم ٤٢٢٤).

الخلق أعجب إليكم إيمانا؟ قالوا الملائكة. قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟! قالوا: فالنبيّون. قال: وما لهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم؟! فقال رسول الله ﷺ: ألا إنّ أعجب الخلق إليّ إيماناً لقوم يكونون من بعدكم يجدون صحفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها»(١). وفى رواية أنّه قال: «بل قوم بعدكم يأتيهم كتاب من بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه، أولئك أعظم منكم أجراً»(٢).

إنّ المسلم الذى يقبض على دينه كما يقبض على الجمر فى هذا الزمان - الذى يضطهد فيه الإسلام حتى فى دياره ويعيش غريباً حتى فى أوطانه - ويستمسك به، ويغالى به، ويعالن به قائلاً: إنّنى من المسلمين، إنّ لهذا المؤمن من الأجر أكثر ممّا كان لبعض الصحابة رضوان الله عليهم.

إنّ عليك أيها الشاب المسلم أن تحتفظ بشخصيّتك، وشخصية أسرتك، ولا يكفى هذا بل لابّد أن تحمل الدعوة. شعار المسلم: «أصلح نفسك وادع غيرك»، لا يكفى المسلم أن يعمل صالحاً ويترك الدعوة إلى الله، إنّه لن يكون من النّاجين من خسران الدنيا والآخرة إلاّ بشروط أربعة ذكرتها سورة (العصر): ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر: ١ - ٣].

والتواصى بالحق والتواصى بالصبر معناه: أن تجنّد نفسك للحق، توصى به

---

(١) قال ابن كثير فى تفسيره: رواه الحسن بن عرفة العبدى من طريق المغيرة بن قيس التميمى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه. ونقل عن أبى حاتم الرازى: أنّ المغيرة منكر الحديث. قال ابن كثير: ولكن قد روى أبو يعلى فى مسنده وابن مردويه فى تفسيره، والحاكم فى مستدركه من حديث محمد بن حميد - وفيه ضعف - عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر، عن النبى ﷺ بمثله أو نحوه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقد روى نحوه عن أنس بن مالك مرفوعا، والله أعلم (تفسير ابن كثير: ١ / ٤١ - ٤٢) ط. الحلبى.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره عن ابن مردويه من حديث أبى جمعة الأنصارى. قال: وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة. التى اختلف فيها أهل الحديث. وذكر قبله حديث أبى عبيدة الذى رواه أحمد (تفسير ابن كثير: ١ / ٤١) ط. الحلبى.

وتسمع الوصيّه من غيرك به، وتصبر على طريق الحق وما فيه من مشاق، وما فيه من نَفَسٍ طويل.

هذه هى شروط النّجاة من خُسر الدنيا وخُسر الآخرة.

لابدّ أن تكون داعية للإسلام، لا يجوز يا أخى أن ترى لليهوديّة دعاتها ورجالها الذين استطاعوا أن يقيموا لها دولة فى قلب ديارنا وشوكة فى جنوبنا، ولا يجوز يا أخى أن ترى للنصرانيّة دعاتها ومبشرّيها بل ومبشّراتها، يذهبون من هذه البلاد ومن أوربا إلى أدغال آسيا وأفريقيا، ولا يجوز أن ترى للشيوعيّة من يستعذب العذاب ويدخل السجن من أجل هذا الكفر والباطل، ولا يوجد للإسلام من يعمل له ومن يدعو إليه، لأنّ كلّ مسلم يريد أن يعيش لنفسه، يريد أن يحصل على (البكلووريوس)، وبعد البكلوريوس يحصل على (الماجستير)، وبعد الماجستير يحصل على (الدكتوراة)، وبعد الدكتوراة يحصل على وظيفة كبيرة، وبعد. . وبعد. . ثمّ ماذا؟

ما قيمة هذا إذا كانت نهايتك إلى النّار والعياذ بالله؟

ما قيمة هذا إذا ضاع دينك؟

أنا لا أريد أن أتبطل أيها الشاب عن تحصيل العلم، فإن تحصيل كل علم نافع عبادة وجهاد. لكنى أقول لك: يا أيّها الشاب المسلم: عليك أن تحمل الإسلام، عليك أن تحمل هذا الدين. . هذه الرسالة، وأن تدعو لها وأن تعيش لها، وأن تسعد بحملها، وتشعر بأنك من قادة الخير، وحملة المشاعل الربانية، وأن تجد لهذا لذة لا تدانيها لذة، وسعادة لا تدانيها سعادة. سعادة قال عنها قديما بعض السلف: إنّنا نعيش فى سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف! إنها سعادة الإيمان.. سعادة القلوب.. سعادة الأرواح بما عند الله عزّ وجلّ.

٤ - الاهتمام بأمر المسلمين:

ثم عليك يا أخى - وأنت تعيش فى هذه البلاد - أن لا تكون فى عزلة عن إخوانك المسلمين فى كلّ بلاد الإسلام، عليك أن تصل ما بينك وبينهم، أن

تعيش فى همّهم، أن تعيش فى قضاياهم، فـ « من لا يهتّم بأمر المسلمين فليس منهم »(١).

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحُجُرات : ١٠] وأين إخوّة الإسلام وأين رابطة الإيمان إذا عاش كلٌّ منّا لنفسه؟

لقد أراد الاستعمار الصليبى والشيوعى أن يمزّقوا الأمّة الإسلاميّة مزقا، وأن يقطّعوها إرْباً إرْبا، فلا يحسّ بعضها ببعض، ولا يألم بعضها لبعض، وأنْ يثيروا النّعرات القوميّة والوطنيّة بحيث يقول كلّ واحد : وطنى وطنى، أو : قوميّتىِ قوميّتىِ، مصر للمصريّين، وسوريا للسوريّين، هناك من ينادى بالقومية العربية، ومن ينادى بالقومية الطورانيّة، ومن يُنادى بالقوميّة الهنديّة. . الخ، لا، قوميّة المسلم هى الإسلام، الإسلام هو الجامع بين المسلمين.

المسلمون أمّة، لم يسمّهم الله (أمماً)، فلا يجوز أن تقول : (أمم إسلاميّة)، هى شعوب إسلاميّة ولكن أمّة إسلاميّة.

أمّتنا أمّة واحدة، قبلتها واحدة، كتابها واحد، ربها واحد، نبيّها واحد، عقيدتها واحدة، شريعتها واحدة، فلا يجوز أن تتمزّق هذه الأمّة أبدا « مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد : إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى »(٢).

وهكذا يجب أن نعيش مع إخواننا فى كل مكان، لا نغفل عنهم ولا ننساهم، لأننّا أمّة واحدة.

هكذا عاش المسلمون فى العصور الأولى، وهكذا يجب أن نعيش، لا نرضخ ولا نذعن لهذه التيارات الداخلية ولهذه الأفكار المستوردة التى تريد أن تفرّقنا شيعا، وأن تمزقنا قطعا، لكى يسهل التهامنا بعد.

---

(١) قطعة من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه، وقد مّر تخريجه فى ص (٦٢).

(٢) رواه أحمد والبخارى فى الأدب - واللفظ له - ومسلم، عن النعمان بن بشير رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى : ٥ / ٥١٤ برقم ٨١٥٥).

يا أيها الإخوة: علينا أن نعرف هذا كلّه.

٥ - العمل الجماعى للإسلام:

وعلينا بعد ذلك أن نعلم أنّنا لا نستطيع أن نحتفظ بشخصيتنّا وشخصية أسرنا، ولا أن نقوم بحق دعوتنا، ولا أن نقوم بحق إخواننا، إذا عاش كلّ منّا فرداً برأسه، مستقلاً بنفسه، يعمل وحده، لا، لا تستطيع أن تعمل وحدك، ولا تستطيع أن تحتفظ بإسلامك وحدك، سيبتلعك التيّار، سيقذف بك هذا التيار فى هذا اليمّ الكبير، ستذوب وتضيع.

ولكن تستطيع أن تحتفظ بدينك ودين أسرتك وأولادك. وتقوم بحقّ دعوتك. وبحقّ إخوانك، إذا وضعت يدك فى يد إخوانك: ﴿ **سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ** ﴾[القصص: ٣٥]، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوىّ بجماعته.

الجماعة قوّة على الطاعة، وعصمة من المعصية، وقدرة فى مواجهة العدو، وقدرة فى حلول المشكلات.

أنت وحدك ضعيف، ولكن مع إخواتك قوى، والشيطان ذئب الإنسان، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

فإيّاك أن تكون شاة شاردة، أن تكون بعيداً عن القطيع. . عن الجماعة، فتؤكل وتُلتهم.

كُن مع الجماعة، حاول أن تكون مع إخوانك: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾[الصّفّ: ٤].

ولو لم تأت النصوص تأمرنا بالاتحاد والتلاحم والتراص، وأن يكون « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »(١)، لأوجبت المصلحة وأوجبت الضرورة أن

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى، عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٦ / ٢٥٢ برقم ٩١٤٣).

نعيش جماعة، وأن لا يعيش أحدنا وحده، لأنّه لا يستطيع، ولأنّ أعداءه لا يعملون فرادى، وإنّما يعملون جماعات وتكتلات.

فإذا تكتل المبطلون على باطلهم وتفرّق أهل الحق عن حقهم، فإنّ الفتنة ستكون كبيرة، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم حين يقول: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾[الأنفال: ٧٣] أى: إلاّ يوالى بعضكم بعضا كما يفعل أهل الكفر، وإلاّ يساند بعضكم بعضا، وإلاّ يتكتل بعضكم مع بعض، تكون فتنة فى الأرض وفساد كبير، لأنّه سيكون هناك وحدة فى جانب الكفر وتفرّق فى جانب الإسلام، سيكون هناك إيجابيّة من ناحية الكفر وسلبيّة من ناحية الإسلام، عمل فى ناحية الباطل وفراغ فى ناحية الحق، وهنا الفتنة والفساد الكبير.

فتكتّلوا كتلة مؤمنة.

إنّ الله علّمنا أن نقول ونحن نصلّى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[الفاتحة: ٦،٥]، بل حتى لو صلّيت وحدك تقول هذا وتطلب الهداية لإخوانك ولأمّتك، فالجماعة تحيا فى ضميرك دائماً، وتتمثّل على لسانك دائماً، هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

هذه أيّها الإخوة وصاياى لكم فى هذه الغربة.

علينا أن نحتفظ بإسلامنا.. بشخصيتنا الإسلاميّة قوية صُلبة، لا تذوب ولا تنماع.

علينا أن نحمل الدعوة إلى الإسلام فى هذا المجتمع: لأنفسنا، ولإخواننا الذين يعيشون هنا من المسلمين أيّاً كانت جنسيّاتهم، وللمجتمع الأمريكى نفسه، فهذا المجتمع أحوج ما يكون إلى الإسلام.

لا تظنّوا أنّ هولاء الذين وصلوا إلى القمر فى غنى عن الإسلام. إنّهم استطاعوا أن يضعوا أقدامهم على سطح القمر وأن يأتوا منه بأتربة وصخور، ولكنّهم لم يستطيعوا أن يُسعدوا أنفسهم على ظهر الأرض، إنّهم يشكون الفراغ، يشكون القلق، يشكون تفاهة الحياة.

إنّ هذه الظواهر التى ترونها: الخنافس. . الهيبيز. . الخ إنّها تمثل ثورة على الحضارة الصناعيّة وعلى مادية الحياة وآليّتها. ولذلك خرجوا إلى حياة أشبه بالحياة البدوية، لأنّ هذه الحياة المتحضرّة لم تشبع نهمهم الروحى، لم تملأ فراغهم العقائدى، لم تؤمنهم من خوف، لم يعرفوا بها مبدأهم ولامصيرهم، لم يفهموا بها معنى لحياتهم، ظلّت الأسئلة الخالدة تلحّ على أفكارهم: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟

هذه الأسئلة التى تلحّ على كلّ إنسان: من أين جئت وجاء العالم من حولى؟ وإلى أين أذهب بعد الموت؟ وما هى رسالتى بين الحياة والموت؟ لماذا أعيش؟ ما قيمة الحياة؟ حضارتهم لم تستطع أن تجيب عن هذه الأسئلة الملحة، ومسيحيتهم المحرّفة لم تستطع، ولن تستطيع الشيوعيّة المادية أن تردّ عليها.

إن الدين الوحيد الذى يستطيع أن يردّ على أسئلة هؤلاء النّاس هو: الإسلام. إنّه دين التوازن، إنّه المنهج الربانى الإنسانى الأخلاقى العالمى.

وعليكم أنتم أن تقدّموا هذا الإسلام للنّاس.

عليكم أن تحتفظوا بأنفسكم.

وأن تدعوا غيركم.

وأن تعيشوا بهموم إخوانكم فى المشرق، ولا تتخلّوا عنهم، ولا تنقطعوا عن قضاياهم.

وعليكم بعد ذلك كلّه أن تتعاونوا وأن تتجمّعوا، وأن لا يعيش أحدكم وحده، فيضيع فى وسط هذا المجتمع.

بذلك ترضون الله عزّ وجلّ.

بذلك تكسبون الدنيا والآخرة معاً.

بذلك تكونون مسلمين حقاً ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[فصّلت:٣٣].

أقول قولى هذا، واستغفر الله تعالى لى ولكم، وادعوا الله يستجب لكم.